



١٩٩١

توزيع دار المعارف

الأركان
في عهد
عماد الدين زنتكي
١١٤٦/١١٤٧ - ٥٥٤١/٥٥٤١ م

دكتور محمد فتحي الشاعر
كلية الآداب - جامعة المنوفية

١٩٩١

توزيع: دار المعارف

رقم الايداع ٢٢٧٥ / ١٩٩١

I.S.B.N. 977-00-1183-5

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

يستهدف هذا البحث المتواضع القاء الضوء على الاكراد فى العصور الوسطى برغم ندرة المصادر ، ووجود شذرات عن الاكراد فى المصادر العربية . على أية حال كان للاكراد دور لا يستهان به فى التاريخ فى العصور الوسطى . وبخاصة فى التعاون مع الحكام الذين رفعوا راية الجهاد ضد الغزو الصليبي منذ عهد عماد الدين زنكى ومن خلفه من الحكام المسلمين الأقوياء . ونذكر منهم نور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبي .

والواقع أن الاكراد لهم تقاليدهم وعاداتهم ولغتهم ويعتزون بالانتماء الى بلادهم كردستان وهذا ما لمسته عندما حاولت اعداد لمحة موجزة عن الاكراد فى العصور الوسطى والتي حاولت فيها الكتابة عن كل ما يتعلق بحياتهم من جميع نواحيها قدر المستطاع ، وعلى ضوء المعلومات التي توصلت اليها .

وشاء القدر أن يحكم امانة الموصل عماد الدين زنكى ، ذلك الحاكم القوي الذي تصدى للصليبيين ، وحقق انتصارات عليهم بعد نجاحه فى توحيد كلمة الاكراد واخضاعهم لسيطرته واستخدامهم كمحاربين اقوياء اشداء فى خوض ساحات الوغى ضد الصليبيين .

والحقيقة أنني وجدت نفسى مدفوعا برغبة ملحة فى محاولة الكتابة عن الاكراد فى العصور الوسطى . وعلى ذلك أقدم هذا الكتيب الموجز المتواضع ، وكلى أمل فى الله سبحانه وتعالى أن يجعل منه اضافة علمية متواضعة تضاف الى مكتبتنا العربية فى العصور الوسطى .

والله ولى التوفيق

بورسعيد ٣/١١/١٩٩٠ م

دكتور محمد فتحى الشاعر

- ٥ -

أمتعة جيولوجية من الأكراد في العصور الوسطى :

أصل الأكراد - كردستان - المصادر الاقتصادية في كردستان - الاقطاع
بين الأكراد - حياة الأكراد الروحية - اللغة الكردية - المجتمع الكردي - أشهر
أمارت كردستان حتى عهد عماد زنكي .

الواقع أن هناك آراء ونظريات تباينت وتعددت ولم تعطينا فكرة قاطعة
عن أصل الكرد ونشأتهم ، والمنطقة التي قدموا منها ، وموطن سكنهم الأول .
وليس بجديد القول بأن المؤرخين المسلمين اختلفوا في أصل الكرد منذ العصور
الوسطى ، وربما كان ذلك الاختلاف لانعدام الآثار الوثائقية المدونة لدى
الأكراد وهو الأمر الذي جعل البحث عن تاريخ الكرد واصلهم بشكل محدد
نمرا بالغ الصعوبة .

وهناك من يعتقد بأن الأكراد من الكردوخيين الذين ورد ذكرهم على
لسان زينفون Xenophon عند انسحابه مع عشرة آلاف مقاتل ٤٠١ -
٤٠٠ ق م حيث يقول عنهم : « أنهم شعب عاش في منطقة كردستان - وهم
أصل الأكراد لانهم فرسان وجبليون مثلهم ويقطنون البلاد نفسها ولأن أسماءهم
متشابهة » (١) ، ومن الثابت تاريخيا أن الكاتب والفيلسوف اليوناني القديم
زينفون (كسينفون) (حوالي ٤٣٠ - ٣٥٥ او ٣٥٤ ق م) كان قد اشترك
في الحملة اليونانية المعروفة على ايران في عام ٤٠١ ق م ، وذلك أثناء النزاع
على عرشها ، وبعد مقتل قائد الحملة كورش أخذ زينفون على عاتقه قيادة
اليونانيين في عملية انسحابهم عبر مناطق شاسعة من الشرق الأوسط . وقد
كتب زينفون فيما بعد كتابا ضمنه ملاحظاته الشخصية عن مسيرة العشرة
آلاف يوناني في تقدمها وانسحابها . وعن المناطق التي مرت بها تلك القوات .
وفي هذا الكتاب معلومات تاريخية مهمة عن الكاردوخيين ، ومنطقة

(١) محمد أمين زكي ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان . ص ٢٦ .

سكناهم (٢) التي كان يصعب على المؤرخين من دونهم استنباط تلك المعلومات الواردة في كتاب زينفون .

ويعتقد مينورسكى Minorsky أن الأكراد ينحدرون من أصل أرى الا أنهم امتزجوا بعناصر أخرى ، وأنهم قوم من الايرانيين يسكنون فارس والقوقاز وتركيا والعراق (٣) . ويضيف مينورسكى قائلا : ، انه من المحتمل أن يكون الشعب الكردي قد هاجر في الأصل من شرقى ايران الى مواطنهم الحالية واستوطنوها منذ فجر التاريخ ، وهذا لا يمنع أنه كان قبل قدوم هذا الشعب المهاجر هناك فى كردستان قوم أو اقوام مختلفة تعيش تحت اسم مشابه فاختلط الشعب الوافد بالقوم أو الاقوام المحلية واندمج فيها اندماجا كلياً وهكذا اصبحوا أمة واحدة ، (٤) .

وكان العلامة مينورسكى قد عرض نظريته هذه فى المؤتمر الدولى للمستشرقين الذى عقد فى بروكسيل عام ١٩٢٨ م . ويرى هذا العلامة ان الأكراد ينحدرون من البختانيين . وذكر المؤرخ هيرودوت ان البختانيين كانوا يشكلون مع الأرمن السبط الثالث عشر من امبراطورية الفرس . ويثبت مينورسكى نظريته مستندا الى لغة الأكراد ، والى أسلوب حياتهم ، فيعتقد ان لغتهم رغم تعدد لهجاتها هى ايرانية الأصل انما تأثرت باللغة الميدية . وكان مينورسكى قد درس تاريخ المنطقة التى تقع جنوبى بحيرة أورميا ، والتى كان يتنازعها الأشوريين ، وشعب أورارتو فى القرن التاسع قبل الميلاد ، فتبين له أن قبائل عدة قد سكنتها منهم الفرس والميديون . والواقع أن الفرس نزحوا سنة ٧١٤ ق م نحو الجنوب ومد الميديون سلطانهم على المنطقة كلها الى ان اتى المانيون المطبوعون بالطابع الايرانى ثم السيتيون من أصل ايرانى بحت . وعندما انهارت مملكة اشور وسقطت نينوى سنة ٦١٢ ق م حدث فراغ فى المنطقة لم يملأه سوى وصول قبائل ايرانية جديدة استوطنت

(٢) شاميلوف ، حول مسألة الاقطاع بين الكرد ، ص ٣٣ - ٣٤ ، الحاشية

رقم ١٨ -

(٣) الببليسى ، شرفنامه ، ج ١ ، ص ٥ .

(٤) محمد أمين زكى ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، ص ٤١ .

شرقي دجلة أي في وديان كردستان ، واختلطت بعدئذ بقبائل مانية ، ويسرى مينورسكي ، مستندا الى الأسماء الجغرافية ، أن القبائل الكردية ، قد توسعت وأسست امارة مهكرت وهي امارة كردية (٥) . وخلاصة رأي مينورسكي أن الأكراد هم مزيج من قبائل متعددة متنقلة وليسوا من دم واحد أو من ارض واحدة (٦) .

ومنذ أن ذكر زينوفون Xenophone (٤٠١ - ٤٠٠ ق م) اسم شعب كردوك الذي يسكن شرقي بوختان ، كثر ذكر هذا الاسم في المنطقة بين الشاطئ الشرقي لنهر دجلة وجبل الجودي حيث سماها المؤرخون كورديين . واطلق على هذا الاقليم (حوض كاردر) باللغة الارامية ، واطلق اسم (كازار تاي كاردر) على ميفضة جزيرة ابن عمر الحالية . وفي العصور القديمة عرف الأرمن هذه المنطقة باسم (كوردوز) ، وعرفها العرب باسم (بقردي) . وذكر ياقوت نقلا عن ابن الأثير أن بلاد (بقردا) جزء من إقليم جزيرة ابن عمر . وقد اندثر اسم (بقردا) الذي كان يطلق في العصر الاسلامي الأول على المنطقة ، وأصبح يذكر في الكتب العربية باسم جزيرة ابن عمر (٧) .

ويرى العالم ريسك Reiske أن كلمات (خلدی) و (كوردی - كرد) و (كورديان) تدل على مسمى واحد . وترتب على ذلك أن كلمة كردی وجمعها اكراد قد صارت اسما لشعب ايراني هجين أو لشعب مجاور لايران ، وذلك بعد الفتوحات العربية لهذه البلاد ، وأن عناصر ايرانية خالصة قد وجدت بين الشعب الكردي كما وجد به في أنحاء أخرى جماعات أجنبية عن البيئة التي نزلت إليها وحكمتها (٨) .

ويرى العلامة (مار) أن الأكراد شعب أصيل وهم السكان الأصليون

(٥) نيكتين ، الاكراد ، ص ١٨ - ١٩ .

(٦) خصباك ، الكرد والمسألة الكردية ، ص ٨ - ٩ .

(٧) البلبليسي شرفنامه ، ج ١ ، ص ٦ ، محمد أمين زكي ، خلاصة تاريخ الكرد

كردستان : ص ٤٥ .

(٨) البلبليسي ، شرفنامه ، ج ١ ص ٦ ، محمد أمين زكي ، خلاصة تاريخ الكرد

وكردستان ، ص ٤٦ .

نجيبال أسيا الصفري ، ويؤكد وأيه قائلاً بأن هناك صلة قرابة بين الأكراد والشعب الكردي ، ويفسر كون اللغة الكردية الحالية من أصل إيراني بأن الأكراد قد استعاضوا عن لغتهم الأصلية بلغة جديدة ويستشهد من ذلك بأسطورة يتناقلها الأكراد حيث يقولون ، . أنهم تركوا لغتهم القديمة واعتنقوا لغة جديدة ، (٩) .

أما العلامة سيدنى سميث **Sidny Smith** فيرى أن آراء العلماء قد تغيرت في العصر الحديث بخصوص اللغة الكردية ، فقال بعضهم أن اللغة الكردية ليست مشتقة من اللغة الفارسية ، أو محرفة عنها ، بل هي لغة مستقلة تمام الاستقلال عنها ، ولها تطوراتها الخاصة القديمة . ويرى أنه يجوز القول بأن اللغة الكردية كانت موجودة في القرن السادس قبل الميلاد ، وكانت لغة مستقلة بذاتها ، وأن الشعب الكردي هو من الأقوام الهندية الأوربية ، قدمت إلى موطنها الحالي ، في الوقت الذي قدم فيه الهنديون إلى ميديا والإيرانيون إلى إيران . ويعتقد سميث أن الأكراد وصلوا إلى موطنهم الحالي فيما بعد سنة ٦٥٠ ق م . وهو في هذا يستند على النقوش الآشورية التي يرجع تاريخها إلى ما قبل هذا التاريخ لا تذكر شيئاً عن الأكراد (١٠) .

ويرى سفرستيان **Safrastian** أن الأكراد لم يخضعوا للتول المختلفة قبل الفتح الإسلامي ، وأنهم اكتسبوا الصفات الآرية كاملة أيام الأخمينيين ، وكانوا يمدون الدولة بالاسند (١١) .

أما المؤرخ الكردي محمد أمين زكي فيرى أن منطقة كردستان كانت مسكونة في فجر التاريخ بشعوب جبال زاغوروس ، وكان الشعب العيلامي يمكن في منتهى الجنوب الشرقي . وهذه الشعوب كلها ما عدا الشعب العيلامي هي من الأصل القديم للشعب الكردي ، ويتدرج هذا الباحث إلى العصر

(٩) شريكيز ، الأكراد ، ص ١٩ - ٢٠ ، ، الأكراد في ذلك العهد ، ص ١٤ .

(١٠) محمد أمين زكي - ملصقة تاريخ الأكراد ، ص ٤٠ - ٤١ ، ص ٥٤

(١١) سفرستيان ، الأكراد في ذلك العهد ، ص ١٤

الميدى فى القرن التاسع ق م . والميديون كما هو معروف من الشعوب الهندية الأوربية التى ارتحلت من شرق بحر القوقاز الى الشمال الغربى من عضبة ايران الى بلاد ميديا فيرى الرأى القائل بأن الشعب الميذى يمثل العشائر الكردية التى تسكن شرق بلاد آشور ، فهو شعب آرى الجنس ، واما لغته فهى من فصيلة اللغات الهندية الأوربية ، ثم ان لغة الميديين ، هى لغة الشعب الكردى أو كانت اساسا لها على الاقل (١٢) .

اما المؤرخ السعودى ، فقد ذكر الاكراد فى كتابه مروج الذهب ومعادن الجواهر ان الاكراد اجناس ، وان الناس تنازعوا فى بدئهم . وان هناك رأى نسبهم الى « ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، وانفردوا فى قديم الزمان ، وانضافوا الى الجبال والأودية ، دعتهم الى ذلك الالفة ، وجاوروا من هناك الامم الساكنة المدن والعمائر من الأعجام والفرس ، فخللوا عن لسانهم ، وصارت لغتهم اعجمية ، ولكن نوع من الاكراد لغة لهم الكردية » (١٢) .

ولا ريب أن اشارة السعودى عن اصل الاكراد مهمة وطريفة وبخاصة ما ذكره عن انهم جماعات سهلية ، ثم التجاوا الى المنطقة الجبلية ، وهناك وجدوا جماعة اخرى سبقتهم الى سكنى المنطقة وهناك انصرفوا عن لغتهم واختلطوا مع الجماعات هناك ، واستمروا فى سكنى المنطقة الجبلية حتى وقتنا الحاضر .

ويواصل السعودى تقديم الآراء المتعلقة بأن الاكراد اصلهم عربى فيقول: « من الناس من رأى انهم من مضر بن نزار وانهم من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن وانهم انفردوا فى قديم الزمان بوقائع (ودهاء) كانت بينهم وبين غسان ، ومنهم من رأى انهم من ربيعة ومضر ، وقد اعتصموا فى الجبال طلبا للمياه والمراعى فخللوا عن اللغة العربية (أى انصرفوا عن اللغة العربية) لما جاورهم من الأمم » (١٤) .

(١٢) محمد امين زكى . خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، ص ٦٢ - ٦٣ .

(١٣) السعودى . مروج الذهب ومعادن الجواهر ، ج ٢ ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(١٤) السعودى ، التنبيه والاشراف ، ص ٨٩ ؛ ومروج الذهب ومعادن الجواهر ،

ج ٢ ، ص ١٢٤ .

وذكر المؤرخ المعروف بشيخ الربوة أن الأكراد أصلهم عربي فقال : « ومن الأجيال المنسويين الى العرب الملحقين بهم الأكراد على ما ذهب اليه الكثير من النسابين ، (١٥) » .

وذهب المقرئى الى القول بأن بعض القبائل الكردية ذاتها تزعم أنها من اسر عربية مثل المروانية التي تزعم انها من بنى مروان بن الحكم بن ابي العاص ، ومثل بعض الهكارية الذين يزعمون أنهم من ولد عتبة بن ابي سفيان ابن صخر بن حرب (١٦) .

والواقع انه بالامكان الاعتماد - الى حد ما - على ما ذكره المؤرخون العرب في العصور الوسطى عن أصل الأكراد لانه لم تكن هنالك مشكلة بين العرب والأكراد كما هي في الوقت الحاضر .

ويمكن اضافة الآراء الحديثة للعلماء العرب في العصر الحديث فعلى سبيل المثال يرى دكتور جاسم محمد الخلف : « ان الأكراد يرجعون الى جنس البحر المتوسط ومن مميزاتهم البارزة ضخامة الجسم والوجه العريض والرؤوس الضخمة » (١٧) . ويضيف الدكتور جاسم الخلف فيقول : « ينتمى الأكراد الى شعوب زاجورس المستوطنة في المنطقة الواقعة جنوب بحيرة وان (١٨) . أما الدكتور محمد السيد غلاب فيقول : « وقد ظلت ارض الجزيرة وشمال العراق تستقبل هجرات البدو الهندية الأوربية من وسط آسيا بما تحمله من صفة الشقرة وهذه المنطقة هي وطن الأكراد في الوقت الحاضر وهم سلالة الميديين Medes القديمة ، التي ظهرت في الالف الأولى قبل الميلاد وتنتشر بينهم صفات الشقرة بشكل واضح وهم يتحدثون لغة هندية

(١٥) شيخ الربوة نخبة الدهر وعجائب البر والبحر ، ص ٢٥٤ .

(١٦) المقرئى ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(١٧) جاسم محمد الخلف ، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية ،

ص ٢٨٩ .

(١٨) د . جاسم محمد الخلف ، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية،

ص ٣٩٠ .

أوربية ويحتلون منطقة الحدود منطقة الحدود المشتركة بين العراق وإيران وتركيا ، (١٩) .

ويلاحظ أن علم السلالات البشرية أظهر أن الأكراد الشرق هم غير أكراد المغرب ، فالكردي الشرقى يشبه تماما الإنسان الفارسي في لونه الأسمر وفي سكن مجتمعه . أما الأكراد الغربيون فهم يختلفون عنهم بلونهم الأشقر ، وعيونهم الزرقاء ، وشكل جماجمهم . ويلاحظ أيضا أن الأكراد في الشمال طوال القامة ، صفار الفم ، بنيتهم نحيفة ، ووجوههم بيضوى ، وأنفهم طويل معقوف ، يحتفظون بشوارب طويلة ، ولا يتركون شعر اللحية ، ويغلب عليهم اللون الأشقر ، والعيون الزرقاء ، والبشرة البيضاء . أما أكراد الجنوب فهم بنوع عام أقل رشاقة ووجوههم أكثر عرضا . ولهم صفات أهالي الجبال ، فلدبهم جلد شديد على العمل ، وتتم ملامح وجوههم عن الحزم والكبرياء ، وبشرتهم صافية (٢٠) .

والواقع أن أصل الأكراد ما زال يكتنفه بعض الغموض ولم يتم الاتفاق عليه بعد بين علماء التاريخ . ومن ثم فلا يزال الميدان واسعا للدراسات والأبحاث والنظريات في هذا الشأن (٢١) .

وعلى أية حال فمن الضروري الاعتراف بأن الأكراد اليوم هم أبناء سلالات انحدرت من عدة أرومات ، ثم انحدروا ، واندمجوا على مر العصور حتى أصبحوا أمة واحدة (٢٢) .

إن كلمة كردستان تعني بلاد الأكراد . وفي عهد الحكومات المقدونية والاشكانية ، والساسانية ، والرومانية لم تكن البلاد الكردية تذكر باسم خاص بها شامل لجميع أجزائها . بل إن كردستان الأوسط كان معروفا باسم (أرمنية أو أرمنستان) . وفي عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان

(١٩) د . محمد السيد غلاب ، تطور الجنس البشرى ، ص ٢٦٢ .

(٢٠) نيكتين ، الأكراد ، ص ٢٢ .

(٢١) منذر الموصلى ، عرب وكراد ، ص ١٠٧ .

(٢٢) توما يويو ، لمحة عن الأكراد ، ص ٩ .

قسم كبير من المناطق الكردية يشمل جزءا من اقليم (انزليجان) • وكان القسم الأوسط منه معروفا باسم اقليم (الجزيرة) • وظلت تلك التقسيمات الادارية قائمة بعد اجراء بعض التعديلات البسيطة عليها فى عهدى الامويين والعباسيين (٢٢) •

وكان سنجر السلجوقى آخر ملوك السلجوقيين (١١ - ٥٥١ هـ / ١١١٧ - ١١٥٦ م) هو اول من اطلق على احدى مقاطعات مملكته لفظة كردستان وهى تشمل القسم الغربى من اقليم الجبل (٢٤) • وكانت هذه المنطقة تضم عدة ولايات يفصل بينها سلسلة جبال زجورس ، وفى شرق هذه السلسلة تقع ولايات همدان ، ودينور ، وكرمشاهات • وفى غربها تقع ولايتا شهرزور وسنجان • أما عاصمتها فكانت قلعة بهار ، الواقعة شرقى همدان • وكانت هذه المنطقة يطلق عليها « جبال الجزيرة » ، او « ديار بكر » • وكان المؤرخ القزوينى هو اول مؤرخ ذكر كلمة كردستان فى كتابه « نزهة القلوب » سنة ٧٤٠ هجرية (٢٥) •

وفى القرن الثامن الهجرى كانت ولاية « كردستان » مؤلفة من ست عشرة مقاطعة وهى : آلانى - اليشتار - بهار - ختتيان - دريندناج - خاتون - دريندزنى - داربيل - دزيبيل - دينور - سلطان آباد - شهرزور - كرمشاه - كرنديوخشان - كذكور - ماهى دشت - واسطام - بيهستون ، (٢٦) •

والواقع أن كردستان واقعة فى قلب آسيا الصغرى ، وتشكل العمود الفقرى للشرق الأوسط ، وتشمل القسم الاكبر من منطقة الجبلية والهضبية الايرانية • وهذه المنطقة تشبه شكل هلال ، وتتداخل مع قسم كبير من اراضى تركيا والعراق وايران (٢٧) •

(٢٢) محمد أمين زكى ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، ص ٢ •

(٢٤) البديسى ، شرقنا ، ج ١ ، ص ١٢ •

(٢٥) نيكيئين ، الاكراد ، ص ٢٤ - ٢٥ ، ثم منظر الخريطة فى نهاية البحث •

(٢٦) محمد أمين زكى ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، ص ٦ •

(٢٧) توما ، بوا . مع الاكراد ، ص ٢ •

ومن الناحية الجغرافية يلاحظ أن كردستان هي البلاد التي يطنها الأكراد . وتشكل سلسلة جبال طوروس وزاجيروس العمود الفقري لهذه البلاد ذات الأراضي المرتفعة ، وأشهر تلك الجبال جبل آرات ، وارتفاعه خمسة آلاف متر ، أما جبل (جودي) فارتفاعه ألفي متر ، وجبل نمروود داغ ارتفاعه ثلاثة آلاف ومائتين من الأمتار . وفي العراق يبلغ ارتفاع جبل بيرمه جروت حوالي ثلاثة آلاف متر حيث يغطي الثلج قممه معظم أيام السنة . ومن وسط كردستان يستمد نهرا دجلة والفرات منابعهما ، ومن روافدهما المتشعبة في مرادصو ، والخابور ، والزابان ، وديالى (سيروان) . وتروى هذه الروافد الكثير من الوردان النعمة عندما نمر عبر الممرات الجبلية (٢٨) .

وتبدأ الحدود التقريبية لكردستان عند خط مستقيم عند قمة آرات في الشمال الشرقي ، ينحدر جنوباً إلى الجزء الجنوبي من زاجورس (هي غرب إيران) ومن تلك المنطقة ترسم خطاً مستقيماً نحو الغرب يمتد إلى الموصل بالعراق . ثم يمتد خط مستقيم نحو الغرب من الموصل إلى المنطقة الكردية في واء الاسكندرية ، ومن تلك النقطة يمتد خط نحو الشمال الشرقي حتى ارضروم في تركيا ، ثم من ارضروم نحو الشرق إلى قمة آرات ، وهي تشمل مناطق الحدود هي كل من إيران وتركيا والعراق وسوريا (٢٩) . وتقع كردستان بين خطي طول ٣٠ - ٤٠ درجة مئوية شرقاً ، ٢٧ - ٤٨ درجة مئوية غرباً وهي بلاد جبلية يختلف مناخها من مكان إلى آخر ، وليست جبال كردستان وحدها مرتفعة بل إن معدل ارتفاع البلاد كلها يتراوح بين الف والـ خمسمائة متر فوق سطح البحر (٣٠) .

وفي القرن التاسع الهجري ذكر القلقشندي المناطق التي يقطنها الأكراد، ونسب الأماكن التي يعيشون بها اليهم حيث قال : « جبال الأكراد والمراد بها الجبال الحاجزة بين ديار العرب وديار المعجم » . ثم ذكر عشرين مكاناً يقطنها الأكراد ولكل طائفة أميرهم يحكمهم وهي : (ديارشت) من جبال همدان ،

(٢٨) توما بوا ، مع الأكراد ، ص ٢ - ٤ .

(٢٩) عبد الرحمن تاملو ، كردستان والأكراد ، ص ١٤ .

(٣٠) عزيز الحاج ، القضية الكردية ، ص ٢٢٨ .

وشهرزور ، و (درانتك) ، ودانتوك ، ونهاوند الى قرب شهرزور ، والطائفة
 التي تعيش بها تعرف بالكلالية ، ومكان بجوار الكلاية بجبال هندان ، وهي
 مقام طائفة من الاكراد يقال لهم زنكلية ، وفي فواحي شهرزور يسكنها طائفتان
 هما اللوسة والباشرية ، ومكان بين شهرزور وبين اشنه من اذربيجان ، يسكنه
 طائفة السولية الكردية ، وبلاد بسقاد وتسكنها طائفة القرياوية الكردية ويبيدهم
 اماكن اخرى من بلاد ازبك ، وفي بلاد الكركار طائفة الحسناوية ، وفي دريندر
 قراير وهو مقام الطائفة القرياوية الكردية ، وبين الجبلين من
 اعمال اربيل ، وفي مازنجان ، بيروه ، وسحمة ، والبلاد البرانية ، ويقطن تلك
 المناطق طائفة المازنجانوية الكردية . وقد اضيف اليهم طائفة الحميدية الكردية ،
 وبلاد شقلاباد الى خفتيان ، وما بين ذلك من الدشت ، والدربند الكبير وبها
 طائفة الشهرية ، وماذكرد والرسحاق ، وممرت ، وجبل جنجمرين ، وتسكنها
 طائفة الاكراد الزرزارية ، وفي جولوك ، وهو مقام طائفة الجولمركية ، وفي
 وهي بلاد كثيرة الثلوج والامطار وهي متاخمة لأرمية من بلاد اذربيجان ،
 وبلادكواردات . وهي بلاد مجاورة لبلاد الجولمركية من جهة بلاد الروم ،
 وبلاد الدينبار - وهي بلاد تلي بلاد الجولمركية ، وطائفة الاكراد بها هي
 الطائفة الدينبارية ، وبلاد العمادية وقلعة هارون ، وبها طائفة الهكارية ،
 والعمرائية ، وكهف داود وبها طائفة الاكراد التنبكية . وهناك عدة اماكن من
 بلاد وقلع اصحابها اكراد وهي ، برجر ، والبلهية ، وكرم ليس ، واندشت ،
 حردقيل ، سكراك ، قبليس ، جرموك ، شنكوس ، بهرمان ، حصن اران ، وهو
 حصن الملك ، سونج ، اكريسا ، يزاركرد ، الزاب ، الريتية ، الدرمنجات
 العرابلية ، وقلعة الجيلين ، سيدكان ، صاحب رمادان ، الشعبانية ، نمرية -
 المحمدية - كزليك (٣١) .

وعلى اية حال فالاكراذ يقطنون المنطقة الجبلية التي تفصلها الحدود
 الحالية بين ايران وتركيا والعراق وسوريا والاتحاد السوفيتي حيث يوجد
 عدد كبير من الاكراد في جمهورية ارمينيا السوفيتية وفي جورجيا (٣٢) .

(٣١) القلقشندى ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج ٤ . ص ٢٧٢ - ٢٧٨ .

(٣٢) توما بيوا ، لمحة عن الاكراد ، ص ٨ .

ويمارس جزء من الشعب الكردي حياة التنقل ، وجزء آخر من ذلك الشعب نصف متنقلين ، أما الأغلبية الساحقة تعيش حياة الاستقرار ، وهم يزرعون الأرض ، أما المهنة الرئيسية فهي رعى الحيوانات . وتمثل تربية الأغنام النموذجية للحياة الاقتصادية للاكراد المتنقلين ، حيث يلعب الغنم دور دليل الثروة ، كما أنه يعطى الاعتبار والاحترام ، كما يعطى القوة وامكانية اخضاع القسم الآخر من المواطنين الأكراد (٢٢) . واعتاد رعاة الأغنام من الاكراد المعيشة تحت الخيام ، ففي فصل الصيف يغادر الاكراد السهول التي تجف ويتسلقون هضاب المشاتي أو مراعى الجبال مع قطعانهم، حيث تجد الحيوانات الأعشاب الوفيرة والطرية التي تفتح شهيتها . ويعتبر الأكراد مهنة الرعى من المهن الجيدة لأنها تسمح بالعيش بحرية (٢٤) .

غير أن الرعى لا يؤلف لدى الكردي المهنة الرئيسية الوحيدة بالرغم من أهميته الكبيرة . ومن الصعب أن تجد أى مجتمع يزاول الرعى وحده دون أن يمتدح الزراعة أيضا . فالأكراد يزرعون الحبوب مثل الذرة والقمح والشعير والأرز وينتجون التبغ أيضا .

والجدير بالذكر أن الثروة الرئيسية عند الاكراد تتألف من قطعان الضأن والجاموس والبقر والماعز والخيول والجمال (٢٥) .

وتنتج كردستان الفواكه مثل التفاح والكمثرى ، والبرقوق ، والخوخ ، والمشمش ، والكرام المختلفة . هذا بالإضافة الى الاستفادة مما تنتجه الأغنام وغيرها من الصوف والجلود والحليب والزبد والجبن بالإضافة الى اللحوم . وتكسو اشجار البلوط الخضراء جبال كردستان على شكل غابات كثيفة تستعمل فى صناعة فحم الخشب . وفى منطقة زاخو (فى محافظة دهوك بالعراق) يتم استخراج الفحم الحجري . ويستخرج معدن النحاس فى ارجانى ، وتم اكتشاف معدن النحاس فى كل من بالو و. (وان) وعقرة . أما معدن الحديد

(٢٢) شاميلوف ، حول مسألة الاقطاع بين الاكراد ، ص ٢٦ .

(٢٤) توما بويوا ، مع الاكراد ، ص ٥ .

(٢٥) شاميلوف ، حول مسألة الاقطاع بين الاكراد ، ص ٢٨ .

الخام فيوجد بالقرب من (مادن) ، وفي (كيجى) ، وفي منطقة (العمادية) ،
ويوجد معدن الرصاص المفضض قرب (مادن) ، وفي ضواحي (وان) ،
وفي (كيماه) . وقد تم اكتشاف المعدن الخام للذهب والفضة أيضا قرب
مدينة ديار بكر (ديار بكر حاليا ضمن الحدود والأراضي التركية) (٣٦) . أما
الذهب الاسود فيسوجد في مدينة كركوك (مدينة كركوك عاصمة محافظة
صلاح الدين بالعراق) ، وفي كركوك يعمل كثير من الاكراد في معامل تضيئية
البتترول (٣٧) .

وَالرّاقع ان المجتمع الكردي انقسم قبل القرن الرابع عشر الميلادي الى
طبقتين : طبقة السادة ، وطبقة الأتباع . وكان هناك ثلاثة أنواع من
الاقطاعيين في المجتمع الكردي :

١ - الاقطاعيون الأمراء الذين اعتبروا انفسهم قياصرة صغار ، وكانوا
يحتفظون بقوات مسلحة كبيرة ، ويعدد من العشائر الخاضعة لهم مع رؤسائها .
وفي العادة اعتبر هؤلاء الأمراء انفسهم من سلالة الحلفاء المسلمين . وبذلك
تركز في أيديهم السلطة الدينية بالإضافة الى السلطة الاقطاعية ، أي انهم
كانوا يمثلون السلطتين الدينية والدنيوية . وكانوا يحصلون على أنواع من
الهدايا المختلفة في المناسبات الدينية والدنيوية الى جانب الضرائب الاقطاعية .

٢ - البيكوات . براسون عشيرة كاملة يدخل ضمنها عدد من الفخود ،
ولم يكن لديهم مركز ديني : بل كانوا ينتمون فقط الى الفخود المعروفة ، وكان
البيك يأخذ فقط الضرائب الاقطاعية مستغلا في ذلك الفلاحين الكادحين بكل
السبل الممكنة .

٣ - الأغا وكان رئيسا للفخذ (٣٨) .

وكانت التقاليد الاقطاعية تعطى الاقطاعي الكردي امكانية الاستيلاء على

(٣٦) توما يورا ، مع الاكراد ، ص ٦ - ٧ .

(٣٧) توما يورا ، مع الاكراد ، ص ٨ .

(٣٨) شاميلوف ، حول مسألة الاتطاع بين الاكراد ، ص ٦٤ - ٦٥ .

مصادر المياه وعلى الأرض أيضا ، والجدير بالذكر ان حفر تنوات السرى ، واقامة السدود لمقاومة الفيضانات ، وبناء الجسور على الأنهار وتشبيد القلاع فى الجبال الحصينة لردع المعتدين ، كان بإشراف الاقطاعى ، وذلك وفقا لوجود أعمال السخرة ، اذ كان على الفلاح ان يعمل يومين لنفسه ، ويعمل لمدة ثلاثة ايام فى أرض الاقطاعى ، من أجل الفلاحة والدراسة وسخرة العلف والخشب ، ويستخدم خلالها ثيرانه ، ووسائل الانتاج (٣٩) . وكان على كل فلاح كردى ان يقدم جزءا من كل شيء ينتجه - فمن كل عشرة رأس غنم مولود يقدم واحدا للاقطاعى - ويقدم له النسبة نفسها من الصوف والسمن والجبن وما شابه ذلك . وكان للاقطاعيين الكرد موارد اخرى مصدرها العادات والتقاليد السائدة ، وفيما يلى نماذج منها :

١ - فى حالة موت فلاح كردى تابع ولا وريث له تنقل جميع ممتلكاته الى سيده الاقطاعى .

٢ - اذا توفى صاحب البيت وكان له ورثة فان ممتلكاته كانت توزع على ابنائه وعليه ، وحصه صاحب البيت المترقى تنقل الى الاقطاعى .

٣ - كان على الفلاح الكردى التابع ان يقدم هدية لسيده الاقطاعى عند زيارته فى ايام الأعياد . وكذلك عند ميلاد ابن الاقطاعى أو زواجه أو زواج شقيقه أو ما شابه ذلك .

٤ - كان على الفلاح الكردى التابع تقديم بعض الحاجيات الاقطاعى اثناء مواسماته ، وذلك عند وفاة والد الاقطاعى أو والدته أو ابنه أو زوجته أو شقيقه أو أى ائيد من اقربائه المقربين .

٥ - كان على الفلاح الكردى التابع تقديم خروف أو ثور للاقطاعى عند زواج ابنه أو ابنته .

٦ - اثناء توسط الاقطاعى لحل الخلافات بين الفخوذ المختلفة كان على الطرفين المتنازعين تقديم هدية للاقطاعى بمثابة جزاء على تعكير الأمن .

٧ - وكانت إحدى أهم موارد الدخل للسيد الاقطاعي الكردي العقوبات المالية عند تعكير النظام أو الخروج على أي من القوانين والتقاليد التي وضعها السيد الاقطاعي الكردي (٤٠) .

والواقع أن الأكراد عاشوا نظاما اقطاعيا كاملا ، فقد كان عليهم أعداد مسلحين ليكونوا تحت إمرة السيد الاقطاعي الأكبر للعمل على حراسة الحدود، هذا بالإضافة إلى مجموعة معقدة من الواجبات والرسوم والضرائب . فقد كان الأكراد اليزيديون يدفعون للامير سنويا عشر انتاجهم ، كذلك يتقاضى الشيوخ وزعماء القبائل النسبة ذاتها . وهذا يعني أن الكردي يدفع ما لا يقل عن خمس انتاجه لرؤسائه الروحيين والمدنيين . وكان على الأكراد أن يتكفروا بنقل خيمة الأغا ، وامتعته ، وان يقدم له كل عريس بقرة ، والاغا هو الذي يتقاضى الغرامات التي يدفعها مرتكبوا المخالفات . أما الشيخ فيتقاضى عن حفلة الختان من نعجتين إلى عشر نعاج ، كما يتقاضى عن كل حفلة زواج من خمس إلى خمس عشرة نعجة . وإذا ما أراد الفرد الكردي أن يقابل رئيسه فلا بد له من أن يحمرا له مع هدية مناسبة (٤١) .

وجرى العرف الاقطاعي بين الأكراد في العصور الوسطى أن يقوم رئيس العشيرة الكردية بتجنيد عدد من الأشخاص وتجهيزهم على حسابه الخاص للدفاع عن العشيرة (٤٢) .

وكانت البلاد التي تعود للميديين ، والتي اطلق عليها كردستان - في العصور الوسطى - تدين بالديانة المجوسية حتى ظهور الاسلام (٤٣) . ويعترف المجوس بمبدأين : الخير والشر . ثم ظهر (زردشت Zerdešt) ، كما يسديه الأكراد ، ويعتبرونه نبي - في إيران القديمة وعاش حتى عام (٦٦٠ ق م) . وله كتاب الإبستاق (الأفيستا Avesta) ، واستمر مذهب الزردشتية

(٤٠) شاميلوف ، حول مسألة الاقطاع بين الكرد ، ص ٩٥ - ٩٩ .
 (٤١) نيكيكين ، الأكراد ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .
 (٤٢) توما يوا . مع الأكراد ، ص ٤٦ .
 (٤٣) توماس يروا . مع الأكراد ، ص ١٠٢ .

الدين الرسمي للفرس وغيرهم مثل الأكراد حتى أخذ الإسلام مكانه
هناك (٤٤) .

ويؤخذ من كتاب الإبتاق أن تعاليم زرادشت ترجع الى أن الله خلق
العالم من النور والظلام . وأن النور والظلام في حالة حرب وخصام . ومن
أسس مبادئ هذه الديانة تقديس العناصر الأربعة : الهواء ، الماء ، والنار
والتراب ، حيث لم يكن مقبولاً تقديس هذه العناصر . فلماذا كانت النار
شعاراً ورمزاً عند زرادشت نفسه . ولم يكن مسموحاً بتقديس المياه الجارية
والراكبة ، ودفن الموتى في التراب ، ومن المبادئ الأساسية للزرادشتية ، أن
أفضل عمل يقوم به الإنسان في حياته هي الاشتغال بالأمر الزراعي
والاقتصادية ، والعمل على توفير المال الذي هو عصب الحياة . ولذلك حرم
زرادشت الصوم على الزراع حتى لا يعوقهم عن أداء عملهم (٤٥) .

وفي القرن الثالث الميلادي اعتنق بعض الأكراد الديانة المسيحية وبخاصة
سكان مدينة (شاهكرد) الواقعة بين مدينة (أربيل) ، ومدينة (الدقوق) ،
وكذلك سكان قرية (الثمانين) الشهيرة ، وهي على مقربة من مدينة جزيرة
ابن عمر ، هذا وفي تلك الفترة - وقبل ظهور الإسلام - ويرغم جهود المبشرين
النصارى ، فقد ظل الأكراد يعبدون الأصنام ، والشمس والأشجار . ويقدمون
الضحايا لصنم مصنوع من النحاس (٤٦) .

والواقع أن الإسلام دخل كردستان في النصف الأول من القرن السابع
الميلادي حيث فتح المسلمون تكريت وحلون عام (٦٢٧م) . وتوجه سعد بن
أبي وقاص الى الموصل وفتح مناطق الأكراد وفي سنة ٦٤٢ م دخلت مدينة
(شهر زور حظيرة الإسلام . على أن الأكراد دافعوا عن الخليفة مروان الثاني
(٧٤٤ - ٧٥٠ م) لأن أمه كانت كردية . ومن الملاحظ أن الأكراد كانوا يفضلون
الخوارج وذلك في بداية تحولهم للإسلام حتى أن بعضهم مالوا الى المذهب
الشيعة . أما بحلول القرن العاشر الميلادي كان الأكراد قد تحولوا الى

(٤٤) توما بيروا . مع الأكراد ، ص ١٠٢ .

(٤٥) محمد أمين زكي . خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، ص ٢٨٤ - ٢٨٦ .

(٤٦) محمد أمين زكي . خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، ص ٢٨٨ .

الاسلام على المذهب السننى (٤٧) . وغنى عن القول أن الأكراد من أكثر الجماعات تمسكا بالاسلام وتفقاها فيه ، وأنها قد أسهوا كثيرا فى الدعوة الاسلامية ، وجاهدوا فى العصور الوسطى دفاعا عن الاسلام وظهر من بينهم الفقهاء والمفسرون ورواة الحديث وأصحاب الطرق الصوفية (٤٨) .

وهناك طوائف دينية بين الأكراد ظهرت فى العصور الوسطى مثل الطائفة اليزيدية ، والتي تنسب الى يزيد بن معاوية بن أبى سفيان . وهذه الطائفة تدين بالمجوسية قبل ظهور الاسلام . وتقيم تلك الطائفة فى (سنجار) (٤٩) ، وفى (الشيخان) (٥٠) بمحافظة نينوى (وعاصمتها الموصل) .

والواقع أن هؤلاء المجوس كانوا قد اعتنقوا الاسلام الذى قضى على كثير من المعتقدات والنزعات قضاء ظاهريا ، واختفت تحت سيطرته المذاهب القديمة التى شملها نفوذها . ولم ينقض أكثر من قرنين حتى بدأت تلك

(٤٧) توما بورا مع الأكراد . ص ١٠٤ - ١٠٥ . والواقع أن معظم الأكراد يتبعون المذهب السننى منذ العصور الوسطى على مذهب الامام الشافعى رحمه الله ولهم قدم راسخ فى العمل بالشريعة الاسلامية ، وللقوف على مزيد فى المعلومات انظر ، البديلى شرفنامه ، ج ١ ، ص ١٥ .

(٤٨) محمد رشيد الفيل ، الأكراد فى نظر العلم ، ص ١٩ .
 (٤٩) سنجار قسبة كبيرة تقع على ريوثة مرتفعة فى سفح جبل (سنجار) ، وتنقسم الى قسمين : علوى تقطنه الطائفة اليزيدية فتستفيد من مناعة مسالكة وعذوبة هوائه وسفلى تقطنه الطوائف الاخرى من المسلمين ومسيحيين ، يخرقها واد جميل تنحدر عليه سيول الامطار من الجبل المذكور . وتبعد (سنجار) عن الموصل بحوالى (١٢٠) كيلو مترا ، وتعد نفوسها زهاء أربعة عشر ألف نسمة جلهم من اليزيدية . انظر ، السيد عبد الرزاق الحسينى ، اليزيديون ، ص ٩ ، الحاشية رقم (١) .
 (٥٠) يطلق اليزيديون ، على قرية « باعذرا » وعن القرى المجاورة لها اسم « الشيخان » ويسمون رئيسهم الزمنى ميرشيخان ، أى أمير الشيخان ، وقد سمت الحكومة القضاء الذى يضم قرية اليزيدية فى شمال شرقى الموصل ، «قضاء الشيخان» ، وجعلت قرية « عين سفتى » مركزا لهذا القضاء ، وهى قرية كبيرة يقطنها مشايخ اليزيدية ، وتبعد عن الموصل شمالا بشرق مسافة (٥٠) كيلو مترا ، ولا يتجاوز عدد نفوسها التى نسمة ، انظر السيد عبد الرزاق الحسينى ، اليزيديون ، ص ٩ ، الحاشية رقم (٢) .

المعتقدات تظهر بعد اختفائها . وينتمى اليزيديون الى عدى بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان . ورفع بعضهم نسبة الى مروان بن الحكم - رابع الخلفاء الأمويين - واتفقوا على أمويته ، وانه كان شيخ طريقة عرفت بالطريقة العدوية (٥١) .

ولد الشيخ عدى هذا فى قرية « بيت فاز » من أعمال بعلبك ، وسكن جبال الهكارية (٥٢) من أعمال الموصل ، ونشر الدعوة الاسلامية بين الكرد الجبليين بالهكارى ، وتوفى سنة ٥٥٥ هـ أو ٥٥٧ هـ بعد أن ناهز التسعين من عمره ، ودفن فى زاوية بالكارية (٥٣) .

وفى القرن الثالث عشر للميلاد ظهر المذهب اليزيدى ، وقد ابتعد عن الاسلام وعاد الى المعتقدات الوثنية . فهذه الطائفة ترى ضرورة عبادة الشمس والشیطان كالزرادشتيين الذين يرون ضرورة عبادة الهى النور والظلام . ويقدمون قربانا للشمس ويرون حرمة قتل الطيور والحیوانات الأخرى وذبحها أيضا . ويسجدون للشمس عند شروقها وعند غروبها . ويكرهون اكل الخس اشد الكراهية ويتحاشون النطق بحرفى (ش) و (ط) الدالين على الشيطان .

وتسجد الطائفة اليزيدية لصنم على شكل طائر يقال له (الملك طاووس) ويعتقدون فى تناسخ الأرواح . ولا يؤمنون بوجود (جهنم) ، ولا (الشياطين) .

(٥١) السيد عبد الرزاق الحسينى ، اليزيديون ، ص ١١ - ٢١ : سعيد الديوجى ، اليزيدية ، ص ١١٠ - ١١٢ .

(٥٢) البلاد الهكارية هى قطعة من كردستان تتصل بحدود ايران ، وكانت قديما تخضع لامراء الموصل ، ولما آل امرها الى الحكومة العثمانية ، جعلوها ولاية مستقلة عن غيرها ، ثم الحقوها بولاية « وان » ، يحدها شرقا ايران وشمالا وان ، وغربا مسرد ، وجنوبا الموصل . انظر السيد عبد الرزاق الحسينى ، اليزيديون ، ص ٢١ ، الحاشية رقم (٢) .

(٥٣) محمد أمين زكى ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .

ولهم كتاب مقدس اسمه (الجلوة) (٥٤) تأليف الشيخ عدى ، يذكر فيه الأصول القديمة لليزيدية . ويليهِ في المرتبة كتاب آخر اسمه (مصحفى رش - الكتاب الأسود ، وتم تأليفه سنة ١٢٤٢/٧٧٢م وهو يتحدث عن العادات والتقاليد الدينية عند الطائفة اليزيدية في العصور الوسطى (٥٥). ويعتقد اليزيديون بأن الشيخ عدى الذين دفن في جبل ليلش من أعمال الموصل ، قد تعهد بصومهم وصلاتهم ، وأنه سيقودهم في آخر الزمان الى الجنة بدون حساب او عقاب (٥٦) . ومن العشائر الكردية التي تعتنق نحلة اليزيدية التي تعيش في محافظة نينوى (وعاصمتها الموصل) ، وفي الشام ، ومن هذه العشائر الخالدية ، والبسيانية ، وبعض من البختية ، والمحمودية (٥٧) .

ويتحدث الأكراد لهجة هندو - اوربية قريبة الشبه من اللغة الفارسية الحديثة ، ولكن لا يمكن الخلط في المفردات والتلفظ وتركيب الكلام . وتوجد لهجتان : كرمانجى الشمال والغرب ويتكلم بها اكسراد تركيا ، وسوريا ، والبلدان السوفيتية وشمال العراق . واللهجة الثانية هي كرمانجى الجنوب وتسمى ايضا سورانى (Sorani) ويتكلم بها اكراد ايرن وشرق العراق . وفى هذه البلاد التي تقع في الوسط فان مجرى نهر الزاب الكبير هو الذي يحدد اللهجتين . واستعمل الأكراد حروف الطباعة العربية لتسجيل لغهم مثلما فعل الفرس . غير ان الأكراد في أرمينيا السوفيتية وفى تركيا استخدموا الحروف اللاتينية في الكتابة (٥٨) .

واللغة الكردية مستقلة تماما ، ولها تطوراتها التاريخية ، ولا تقلب قداما عن اللغة الفارسية ، ولا ريب انها من اهم الروابط المعنوية التي تربط

-
- (٥٤) جاء في (كتاب الجلوة) أحد كتابى اليزيدية للمفسين عندهم ما نصه .
 و احتفظوا بالعلم الذى يلقنوكم اياه - خدامى - ولا تجوا - تاتوا - به قدام الاجانب ،
 كليلهرود والنصارى والاسلام وغيرهم ، لانهم لا يريدون ما هو تعليمى ؟ ولا تعطوهم
 من كتبكم لئلا يغيروها عليكم ، وانتم لا تعلمون . احفظوا الاشياء غيبا لئلا تتغير
 عليكم . انظر ، السيد عبد الرزاق الحسينى ، اليزيديون ، ص ٢٨ ، حاشية رقم (١) .
 (٥٥) محمد أمين زكى ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، ص ٢٨٦ - ٢٩٧ .
 (٥٦) البديلى شرفنامه ، ج ١ ، ص ٧ .
 (٥٧) البديلى ، شرفنامه . ج ١ ، ص ١٣ - ١٤ .
 (٥٨) توما يوا ، مع الاكراد ، ص ١٢٢ - ١٢٤ .

أفراد القومية الأكراد ، إذ انها واسطة لنقل الأفكار والمكتسبات والتراث الحضارى بين الاجيال ، كما ان لها تأثير كبير على عواطف الافراد والاكراد . والجدير بالذكر ان الاكراد فى العراق وايران يستخدمون الابجدية العربية فى الكتابة ، اما الاكراد فى الاتحاد السوفيتى فيستخدمون الابجدية الروسية، اما اكراد تركيا وسوريا فيستخدمون الابجدية اللاتينية (٥٦) .

والواقع ان الاكراد استخدموا فى لغتهم المفاظا من اللغات المجاورة الثلاث لهم وهى اللغة العربية واللغة التركية واللغة الفارسية ، كما أن بعض المناطق الجبلية التى يعيش بها الأتراك عزلت الاكراد عن بعضهم البعض الى حد ما ، ولهذا تنوعت لهجاتهم حتى اصبح من الصعوبة ان يفهم بعضهم البعض . وهذا أمر طبيعى من وجهة النظر الجغرافية . على انه لم تزل هناك أسس عامة مشتركة فى بناء القواعد والالفاظ ، وفى شرق نهر الزاب الكبير الى المناطق الكردية الايرانية والروسية حيث توجد محافظات اربل ، والسليمانية ، ومحافظة التاميم (عاصمتها كركوك) فاللهجة السائدة هى اللهجة السريانية . اما فى محافظة دهوك العراقية فاللهجة السائدة هى البيدانية وكذلك فى تركيا (٦٠) .

وفيما يتعلق بشكل المنزل الذى سكنه الكردى فى العصور الوسطى نجد انه تغير وفقا للموقع وظروف المناخ ، فهناك البيوت التى بنيت بالطوب اللبنى أو بالحجارة . كما كانت المنازل شديدة التلاصق مع بعضها البعض فى المناطق الأكثر تعرضا للاخطار . وكانت القرية الكردية تشكل بمجموعها سطحاً طينياً بطول أربعين أو خمسين متراً . أما من الداخل فهناك عدد كبير من الممرات والغرف يحدد عامل الخصب و القحط تجمع تلك البيوت أو تفرقها فهناك منازل ذات واجهات من الحجر المنحوت وهى مؤلفة من طابق واحد علوى ، اما القسم السفلى فيستخدم كزرائب أو مخازن أو مطابخ ، وتشبه خيم الاكراد خيم البدو العرب . وتتألف هذه الخيام من شقق سوداء ، مصنوعة

(٥٩) عبد الستار طاهر شريف . المجتمع الكردى . ص ٤٠ - ٤١ .

(٦٠) نيكيتين ، الاكراد ، ص ٧٤ - ٧٨ : عبد الستار طاهر شريف ، المجتمع

الكردى ، ص ١٠ - ١١ .

من نسيج شعر الماعز ، وهى لذلك تسمى البيوت السوداء . ونسيج شعر الماعز متين ومتماسك بحيث لا يسمح للمطر بالنفاذ من خلاله . وتختلف مساحة الخيمة باختلاف حالة أصحابها المادية . فقد شاهد أحد الرحالة خيمة طولها ٥٠ مترا وعرضها ٢٥ مترا ، وأخرى طولها مائة متر وعرضها ٥٠ مترا (٦١) .

ويلاحظ أن الأكراد يرتدون ثوبا واسعا أكثر ملاءمة لتسلق الجبال ، وسروالا له ذيل فضفاض من الخلف . ويرتدى الكردي سترة قصيرة من القماش الأبيض وقبعة الرأس عبارة عن لبادة مخروطية الشكل بيضاء يحيط بها مندبل له لونين : أبيض وأزرق . ويشد الكردي وسطه بحزام ملون ، ويتقلع حذاء خفيفا من اللباد . ويحمل خنجرا له قبضة فضية (٦٢) .

وبخصوص زى المرأة الكردية فيلاحظ أنها في شمال كردستان كانت ترتدى ثوبا بسيطا ويتألف من قميص طويل ملون ، وسروال أحمر ، وتضع على رأسها عمامة كبيرة . وتلف المرأة الكردية شعرها على شكل جداول يغطيها بقبعة مستديرة محلاه بحلى زجاجية . وفي المناسبات الرسمية يضاف الى هذا الزى عقد من الفضة فوق الصدر ، واساور في المعصم ، وبعضهن يحطن رؤوسهن بسلاسل من الذهب والفضة . أما في جنوب كردستان ووسطه ، فتضع المرأة الكردية على رأسها العمامة الفضفاضة ، والأقراط المعلقة في الأذنين ، والاساور في المعصمين ، وصفوف من القطع الذهبية المعلقة على الجبين . ونساء الأكراد سافرات (٦٣) .

وترتدى الفتاة اليزيدية الملابس الملونة الزاهية البراقة ، وتضع الورد في شعرها ، وتزين بما يحلو لها من الزينة - في العادة قلاند مصنوعة من العملة أو العقيق - الى ذلك - وكثيرا ما يشدون رؤوسهن بقطعة من القماش الأحمر والأسود الذي قد يستعملنه كخمار . وتلبس المرأة اليزيدية

(٦١) توما بوجوا ، مع الأكراد ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٦٢) ياسيل نيكيتين ، الأكراد ، ص ٧٨ - ٧٩ ، ثم انظر صورة لرجل كردي

في نهاية البحث .

(٦٣) ياسيل نيكيتين ، الأكراد ، ص ٨٠ - ٨١ . ثم انظر صورة لفتاة كردية

في نهاية البحث .

المتزوجة ، فى الغالب ، سروالا أبيض تضع فرقه فى موسم الشتاء مقطنة من البيازة ، وتضع على رأسها ما يشبه العمامة بيضاء اللون . وتكون عمامة المرأة السنجارية أكبر ، فى العسادة ، من تلك لآخراتها فى المناطق الأخرى (٦٤) .

وتقوم المرأة الكردية بجميع الأشغال المنزلية الشاقة ، فهى يحملن الدواب وينزلن الاحمال عنها ، ويحلبن الغنم فى مواطن القطعان على الجبل . ويجمعن الأغصان والاشخاب للتدفئة والطبخ ، ويقمن بكل تلك الاعمال ، واطفالهن على ظهورهن . وتجيد المرأة الكردية الفروسية ، وتختلط المرأة بالرجال ، وتتحدث بحرية ، وتعطى رأيها بصراحة ، وتستقبل الضيف فى غياب زوجها ، بل وتتناول الطعام مع الضيف . وليس من عادات الأكراد الحد من حرية نسائهن ذلك لأن هؤلاء النسوة فاضلات مع تالق ، وظرف ، ولباقة . ولا وجود للبعاء بين الاكراد ، ولا يتم الزواج عندهم الا بعد حب متبادل (٦٥) .

ومن حق الرجل الكردى المسلم ان يتزوج أربع زوجات الا ان وحدانية الزوجية هو الطابع السائد فى المجتمعات الكردية وبخاصة بين الطبقات الفقيرة ، والمتوسطة ، وهى الغالبية العظمى التى تتكون منها المجتمعات الكردية . ووفقا للتقاليد الكردية المتوارثة عبر الأجيال والعصور ان يتم الزواج بالتبادل ، ان على الراغب فى الزواج ان تكون له أخت أو بنت لكى يتم الزواج بالتبادل . وكان من النادر الزواج دون تبادل ، فالأشخاص الذين ليس لديهم أخوات يندر ان يتمكنوا من الزواج لأن المهر يكون غالبا ، ويجب ان يدفع مقدما ، ولا ينفق والد الفتاة أو ولى أمرها سوى جزءا يسيرا على الفتاة ، ويحتفظ بالجزء الأكبر لنفسه (٦٦) .

والطفل هو ثمرة الزواج ، والأسرة الكردية تتكون من الزوج والزوجة والأولاد ، والأطفال سواء فى الريف أو المدن أما فى الأرياف فيكون الجد

(٦٤) عبد الستار طاهر شريف ، المجتمع الكردى ، ص ٢٢ - ٢٢ ؛ سامى سعيد الاحمدى ، اليزيدية ، ج ١ ، ص ٥٥ ، ثم انظر صورة لامرأة كردية فى نهاية البحث .
(٦٥) نيكيئين ، الاكراد ، ص ٨١ - ٨٢ .
(٦٦) عبد الستار طاهر الشريف ، المجتمع الكردى ، ص ٢٥ - ٢٦ .

إذا كان باقيا على قيد الحياة - رئيسا لكل الأسرة المتكونة من الاولاد المتزوجين وأولاد اولاده ، وكذلك الزوجات المطلقات ، والارامل ان وجدن ، وكنهم جميعا أسرة واحدة ، ويعيشون فى بيت واحد ، واحوالهم المالية مشتركة ، وفى حالة وفاة الجد يحتل محله ابنه الاكبر لادارة شئون الأسرة (٦٧) .

وتقع مسئولية تربية الطفل الكردى وتعليمه على عاتق المرأة الكردية ، ثم يصبح الأولاد تحت سيطرة ابيهم تحت سن معينة . بينما تظل البنات تحت رعاية الام حتى يبلغن سن الزواج . وفى سن السابعة يبدأ الاطفال الاكوان بالعمل ويلتحق الابناء بابائهم ، بينما تنضم البنات الى امهاتهن ، وتساعد البنات فى الأعمال المنزلية ، بينما يقوم الاولاد برعى الحيوانات الصغيرة وجمع الأحطاب . والواقع أن الطفل الكردى يولد فى مجتمع يسوده عدم الاستقرار ، بالإضافة الى القسوة والخشونة والتمرد ، وهذا ميراث اجتماعى قديم لحياة البداوة التى تولد فى نفس الطفل الكردى نزعة استقلالية مع رغبة فى المغامرة (٦٨) .

والعشيرة الكردية تتكون من مجموعة من الأسر . وبالنسبة للعشائر الكردية فالرابطه بين أفرادها هى رابطته (الارض) اكثر من أن تكون رابطته دم والواقع أن العشيرة الكردية تعود الى ان مجموعة من الأسر والعائلات المختلفة انسابها سكنت جميعها منطقة معينة ومحدودة فازداد عددهم على مر العصور والأزمنة ، وتكونت العشيرة الكردية (٦٩) .

ويفضل الكردى حرفة الرعى لأنها بعيدة عن كل مضايقة . ولا شك ان حياة الكردى المنطلقة تنمى فيه الشجاعة نتيجة للمخاطر التى تحيط به . ويرون ان العمل فى الرعى يجعل الانسان رجلا قوى الشكيمة . ويعتنى الكردى بتكاثر المواشى وجز صوف الخرفان . أما المرأة الكردية فهى التى تصنع الزيت والجبن . ويزرع الفلاح الكردى الحنطة والشعير والأرز ، والذرة ، وبذر

(٦٧) عبد الستار طاهر الشريف ، المجتمع الكردى . ص ١٠ .

(٦٨) عبد الستار طاهر شريف ، المجتمع الكردى ، ص ١٢ .

(٦٩) عبد الستار طاهر شريف ، المجتمع الكردى ، ص ١٢ - ١٥ .

القتب ، والخضروات ، والبقر والفاكهة ، ومن امثلة تلك المزروعات :
 البطاطس ، واللوبيا ، والعدس ، والبسلة ، وأنصاطم ، والبانتجان ،
 والكرنب ، والبصل ، والجزر ، واللفت ، والخيار ، والشمام ، والبطيخ ،
 والسبانخ ، والفجل . وتنتشر الاشجار المتمرة مثل التفاح ، والكمثرى ،
 والخوخ ، والتين ، والمشمش ، والتوت ، والرمان ، والكروم . ويعتبر التبغ
 من أهم ثروات كردستان ويقوم الاكراد فى المناطق الجبلية بجنى جوزة
 العفص ، وهى مادة تستخدم فى الدباغة ، وفى الغابات الكثيفة يقوم الاكراد
 بقطع الأخشاب (٧٠) .

وإذا ما حاولنا معرفة الامارات الكردية التى قامت فى كردستان قبيل
 عهد عماد الدين زنكى فيمكن القول أن اهم تلك الامارات ، الامارة المروانية
 بديار بكر والجزيرة . ومؤسس هذه الامارة هو احمد بن مروان (٤٠٢ -
 ٤٥٣ هـ) فى ديار بكر والجزيرة . وعلا شأنه فى عهد الخليفة العباسى (القادر
 بالله احمد بن اسحاق بن المقتدر بالله جعفر) ، وانعم عليه الخليفة بلقب
 (نصر الدولة) ، وعرض طاعته على السلطان طغرل بيك السلجوقى . وحكم
 نصر الدولة احمد بن مروان الاكراد حكما مستقلا فى ديار بكر والجزيرة (٧١) .
 والجدير بالذكر ان نصر الدولة احمد بن مروان دخل فى حرب ضد قرواش
 حاكم الموصل ، غير ان حاكم الموصل لم يتمكن من تحطيم ارادة نصر الدولة
 هذا بالرغم من التفوق العسكرى الذى حظى به حاكم الموصل ، وبالرغم من
 تهديدات حاكم الموصل قرواش بضرورة تسليم قلعة (جزيرة ابن عمر) ، وقلعة
 (نصيبين) ، ودفع مهر ابنة قرواش البالغ عشرين الف دينار حيث كان نصر
 الدولة متزوجا من ابنة قرواش ثم اعادها الى والدها لسوء العلاقات
 الزوجية . وعلى أية حال تميز عهد نصر الدولة احمد بن مروان بالقوة (٧٢) .
 وبعد وفاته خلفه ولده نصر بن نصر الدولة احمد بن مروان ثم نشب خلاف
 بينه وبين اخيه سعيد على الحكم ، فانقرض بالحكم فى مياقارقين ، واستقل
 سعيد فى آمد عوضا عن والده . ودام هذا الوضع حتى توفى فى شهر نى

(٧٠) توما يروا ، مع الاكراد ، ص ٢٨ - ٢١ .

(٧١) البديسى ، شرقنامه ، ج ١ ، ص ١٩ .

(٧٢) محمد أمين زكى ، تاريخ الامارات الكردية فى العهد الاسلامى ، ص

الحجة ٤٧٢ هـ / ١٠٨٠ م . وظل سعيد بن نصر الدولة أحمد بن مروان واليا على آمد حتى توفي في ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م ، ثم تولى الحكم منصور بن نصر بن نصر الدولة أحمد ، وفي عهده حدث نزاع بين الامارة المروانية وبين جكرمش صاحب الموصل ، وانتهى هذا الخلاف بأسر منصور بن نصر بن نصر الدولة أحمد (وتوفي ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م) . وبموته انتهى عهد هذه الأسرة التي حكم أربعة من افرادها مدة احدى وتسعين سنة (٧٢) .

والامارة الثانية هي الامارة الحسنية في الدينور وشهروزور ، وهي التي أسسها حسنية بن حسين ، وكان معاصرا لركن الدولة بن حسن بن بويه الديلمي . وكانت حدود امارته تمتد من الدينور حتى الأهواز، وخوزستان، وأسد آباد ، ونهاوند ، وما بين تلك البلاد من الجبال والصحارى والهول . وحكم الامارة في الفترة ما بين ٣٥٩ هـ - ٩٦٩ م ، حتى ٣٦٩ هـ - ٩٧٩ م . وظلت تلك الامارة قائمة حتى ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م (٧٤) .

والجدير بالذكر أن جد مؤسس تلك الامارة . وهو الأمير حسين الكردي كان زعيما للعشيرة البرزيكانية . وكان أخواه (ونداد) و (غانم) يتزعمان العشائر العيشانية . وهكذا كانت كافة أرجاء الدينور وهمدان ، والصمغان ، وبضعة بلدان من اقليم آذربيجان تدين لهم بالخضوع والطاعة (٧٥) .

أما الامارة الثالثة فهي الامارة الروادية والتي قامت في الفترة ما بين ٢٣٠ هـ - ٦١٨ هـ ، في اقليم (آذربيجان) . وكان الرحالة (ابن خردادبة) شاهد غيان للامير (محمد الراودي) في (تبريز) سنة ٢٢٢ هـ . على أية حال ظلت هذه الامارة قائمة . وقامت بنشاط ملحوظ في النصف الأول من القرن السادس الهجري . وفي سنة ٥٠٥ هـ شارك الأمير (أحمديل) بجيشه مع الجيوش السلطانية ، ومع (مودود) أمير الموصل (وأبي الهيجاء) حاكم اربل ، وأمراء آخرين في المعارك ضد أعداء الامة الاسلامية (٧٦) .

(٧٢) البديسي ، شرفنامه ، ج ١ ، ص ٢٠ .

(٧٤) البديسي ، شرفنامه ، ج ١ ، ص ٢٠ - ٢٤ .

(٧٥) محمد أمين زكي ، تاريخ الامارات الكردية في العهد الاسلامي ، ص ٦٩ .

(٧٦) محمد أمين زكي ، تاريخ الامارات الكردية في العهد الاسلامي ، ص ٢٨-٤٨ .

من هو عماد الدين زنكى ؟

هو عماد الدين زنكى بن آق سنقر بن عبد الله ال ترغال وحظى والده بلقب قسيم الدولة ، والمعروف بالحاجب . وكان قسيم الدولة والد عماد الدين زنكى مملوكا للسلطان السلجوقى ملكشاه بن الب أرسلان وقام بدور مهم من الناحية السياسية والعسكرية فى الدولة السلجوقية ، وظل آق سنقر الملقب بقسيم الدولة من المقربين للسلطان السلجوقى ملكشاه بن الب أرسلان ، فى مرحلتى الطفولة والصبا . وعند اعتلاء ملكشاه عرش السلطنة سنة ٤٨٥ هـ ، كان آق سنقر من اشد المقربين للسلطان ، وحظى بمنزلة رقيقة وحمل لقب قسيم الدولة (١) .

وكان ميلاد عماد الدين زنكى سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م ، ولما قتل والده كان عمره عشر سنوات ، وكانت تدور عليه علامات النجابة والشجاعة . كما التف حوله مماليك ابيه . وكانوا عددا كبيرا وفيهم الأمير زين الدين على كرجك بن بكتكين (٢) . ولا ريب أن الدور المهم الذى لعبه أبوه آق سنقر فى الشؤون السياسية والعسكرية للدولة السلجوقية فى الفترة ما بين (٤٦٥ - ٤٨٧ هـ) ساعد - الى حد كبير - على ظهور عماد الدين زنكى .

وعندما سيطر القائد السلجوقى كرىوغا على الموصل ٤٨٩ هـ باسم السلطان بركياروق ، أبدى اهتماما خاصا بعماد الدين زنكى وقال : « انه ابن اخى ، وأنا أولى الناس بتربيته » . وظل عماد الدين زنكى ملازما لكرىوغا بعد ن صارت له مكانة كبيرة فى الحاشية حتى وفاة كرىوغا ٤٩٥ هـ / ١١٠٠ م (٣) .

(١) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٤ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ص ٥٩ ، ابن واصل مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١١ ؛ ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب . ج ٣ ، ص ٢٨٠ .

(٢) سعيد الديوهجى ، الموصل فى العهد الاتابكى ص ١٧ .

(٣) ابن الاثير ، الباهر ، ص ١٦ .

- ٤٠ -

ولما تولى شمس الدين جكرمش حاكم الموصل خلفا لكريوغا (٤٦٥ - ٥٠٠ هـ / ١١٠٠ - ١١٠٦ م) عمل على اقامة علاقات طيبة مع عماد الدين زنكى للاستفادة منه ، ومن قوة مماليكه . ثم توثقت العلاقة بينهما حيث «قربه واتخذ ولداه (٤) .

ولما تولى جاولى سقاو (٥٠٠ - ٥٠٢ هـ) الولاية على الموصل كانت علاقات عماد الدين زنكى مع هذا الوالى الجديد طيبة . غير أن عصيان جاولى سقاو للسلطان محمد سنة ٥٠٢ هـ دفع عماد الدين زنكى الى الانصراف عنه ، وفى الوقت نفسه انضم عماد الدين زنكى الى والى الموصل الجديد الأمير مودود ابن التونتكين (٥٠٢ - ٥٠٧ هـ) . واشترك عماد الدين زنكى مع مودود فى جميع المعارك التى خاضها ضد الصليبيين فى الجزيرة والشام ، وعلى أسوار الرها ، وباشر ، ومعرة النعمان . وأبدى عماد الدين زنكى خلال تلك المعارك شجاعة ومقدرة على القتال ، كذلك نال شهرة واسعة عند المسلمين وظل مخلصا لمودود حتى مقتله ٥٠٧ هـ (٥) .

وفى سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م أقطع السلطان محمود السلجوقى الموصل وأعمالها قسيم الدولة آق سنقر البرسقى وأمره بحفظ عماد الدين زنكى وتقديمه ، والوقوف عند اشارته ، لما كان عند عماد الدين زنكى من العقل والشجاعة وحسن التدبير (٦) .

وعندما أقطع السلطان محمود آق سنقر البرسقى مدينة واسط وشحنكية البصرة سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م ، أرسل اليها عماد الدين زنكى ، وظهرت كفاءته ، وحسن ادارته فى القضاء على الثورات وتوطيد الأمور التى عجز عنها غيره (٧) .

(٤) سعيد الديوهجى ، الموصل فى العهد الاتابكى ، ص ١٨ .

(٥) ابن الاثير ، الباهر ، ص ١٧ - ١٩ ؛ سعيد الديوهجى ، الموصل فى العهد

الاتابكى ، ص ١٨ .

(٦) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٧٩ - ٨٠ .

(٧) سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١١٤ - ١١٦ .

وفى العاشر من ربيع الآخر ٥٢٠ هـ تولى عماد الدين زنكى شحنة العراق بناء على منشور أصدره السلطان محمود بعد استشارة الأمراء .
غير ان عماد الدين زنكى لم يستمر فى ذلك المنصب سوى أربعة أشهر ثم ولى بعدها امارة الموصل خلفا لعز الدين مسعود بن البرسقى والى الموصل الذى توفى سنة ٥٢١ هـ (٨) .

وفى سنة ٥٢١ هـ توفى عز الدين مسعود بن البرسقى ، وتمت مقابلة بين الوزير السلجوقى والسلطان محمود حيث وافق السلطان على استدعاء وفد الموصل حيث طلب أعضاء ذلك الوفد ترشيح عماد الدين زنكى بعد تقديم المبررات على ذلك الترشيح . ووافق السننار على طلب الوفد لمعرفته عن شهامة عماد الدين زنكى ومقرته (٩) .

وكان عماد الدين زنكى يحمل لقب الأتابك (١٠) . واشتهرت الامارة التى اسسها عماد الدين زنكى باسم اتابكية الموصل . وحنن اللقب نفسه كل من خلفه من سلالته وتولى حكم الموصل . على ان التسمية بهذا اللقب بالنسبة لعماد الدين زنكى بدأت فى شعبان ٥٢١ هـ عندما ولاه السلطان محمود الموصل وسلمه ولديه الب ارسلان وفروخ شاه ، وجعله اتابكا لهما (١١) .

على أن اتابكية عماد الدين زنكى الزمته بسلوكيات معينة ، فقد كان من الواجب عليه من الناحية الرسمية أن يحكم امارة الموصل باسم الب

(٨) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٧٤ .

(٩) البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق . ص ١٨٧ .

(١٠) تتكون كلمة (اتابك) من لفظين تركيبين هما : اتا (بمعنى أب (بك)

بمعنى أمير (أى الامير الوالد) . انظر ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٢١٦ .
على أن أول من حمل ذلك اللقب هو نظام الملك ، وزير ملكشاه ، عندما تولى تدبير شئون الملكة سنة ٤٦٥ هـ . وربما كان المقصود من هذا اللقب هو أمير الامراء أى اكبر الامراء المقدمين ، وكان الاتابك يكلف من قبل السلطان الحاكم بالوصاية على واحد أو أكثر من أبنائه الذين لم يبلغوا سن الرشد ، انظر القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٨ .

(١١) البندارى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٨٧ .

ارسلان ، اكبر الاميرين ، وان يخطب له . ومن ثم اظهر للخلفاء والسلطين واصحاب الاطراف ان البلاد التي يحكمها ، « انما هي للملك الملب أرسلان » ، وانه نائب فيها فكان اذا ارسل رسولا او اجاب على رسالة فانما يقول : « قال الملك : كذا وكذا » (١٢) .

على ان ذلك الاجراء كان شكليا فحسب ، حيث كانت السلطة الفعلية تحت تصرفه شخصا فقط . ولم يكن لولدى السلطان محمود اية سلطة عملية على الاطلاق . بل ان عماد الدين زنكى فرق بين الأخوين فجعل أحدهما فى احد معاقل سنجار ، وجعل الآخر تحت اشراف زوجته فى الموصل .

كان عماد الدين زنكى الابن الوحيد لوالده اق سنقر وكان عمره عشر سنوات عند مقتل والده ٤٨٧ هـ (١٢) . وأبدى عماد الدين زنكى ما يدل على مشاعر الوفاء والذكرى الطيبة عندما عمل على نقل رفات والده الذى كان مدفونا على مرتفع يقع الى الشرق من حلب ، الى مكان مناسب غداة استيلاء عماد الدين زنكى على حلب سنة ٥٢٢ هـ . وتم نقل رفات والده الى مدرسة الزجاجين الشافعية ، وأوقف احدى الضياع لصرف ريعها على المقرئين على قبر والده (١٤) . ولم نجد شيئا عن والدته فى المصادر التاريخية باستثناء اشارة الى انها توفيت بالموصل عام ٥٢٩ هـ (١٥) . والراجح انها عاشت مع ابنها منذ مقتل والده . واقامت معه بالموصل حتى وفاتها .

وعند وفاة عماد الدين زنكى ترك أربعة بنين وابنة واحدة ، والبنين هم: سيف الدين غازى ، ونور الدين محمود ، ونصرة الدين أميران ، وقطب الدين مودود . ولم تذكر المصادر التاريخية ابنته (١٦) . واهتم عماد الدين زنكى بتربية ابنائه وتعليمهم فقد اختار عليا بن منصور السروجى لتربية اولاده ،

(١٢) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٧١ .

(١٣) ابن الاثير ، الباهر ، ص ١٥ .

(١٤) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(١٥) ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

(١٦) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

وكان عليا هذا اديبا وشاعرا (١٧) . ولما كبر سيف الدين غازي أرسله أبيود لخدمة السلطان مسعود حيث تلقاه بالتكريم وكلف عشرة من الحراس لخدمته (١٨) . وظل نور الدين محمود تحت رعاية والده ، وتعلم القرآن الكريم ، والفروسية والرمي (١٩) . ولما اشتد عوده وأصبح في سن الشباب عمل بجوار والده حتى مقتله (٢٠) .

وكان عماد الدين زنكي صاحب شخصية قوية ، له هبة شديدة على شعبه وجنده ويميل الى الجد في غالب الأحوال ، قليل الميل للراحة والترف . وكان حسن الصورة ، أسمر اللون ، مليح العينين ، متوسط القامة (٢١) وكان مضرب الأمثال في الشجاعة والجلد في الحروب قبل أن يتولى حكم امارة الموصل ، وطوال فترة امارته على الموصل فقد كان مقاتلا جسورا ومقداما على الدوام (٢٢) .

وتميز عماد الدين زنكي بالدهاء الشديد والبراعة في المناورة السياسية مع الأعداء ، الأمر الذي مكّنه من اجراز انتصارات على الصليبيين بفضل شجاعته وحنكته وقدرته على ابداء أساليب المكر والدهاء . وبفضل ذلك ! انتصر على البيزنطيين وعلى الصليبيين وفتح الرها (٢٣) .

والواقع أن عماد الدين زنكي رفع راية الجهاد ضد الصليبيين وكانت كل سلوكياته تدور حول محور توحيد القوة الاسلامية للتصدي للفسادة الصليبيين واعتبر عماد الدين زنكي أن الجهاد :- أفضل اركان العبادة ، (٢٤) واعتبر عماد الدين زنكي نفسه المسئول الأول عن شن حرب جهاد ضد

-
- (١٧) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٢٢٩ - ٢٤٠ .
 (١٨) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٩٧ .
 (١٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .
 (٢٠) ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ١١٩ .
 (٢١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٠٠ - ١٠١ .
 (٢٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٩٢ - ٩٤ .
 (٢٣) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٥٥ - ٥٦ .
 (٢٤) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٨٦ .

الصليبيين بحكم كونه أقوى الامراء في زمنه . واعتقد أن الجهاد فريضة حتى لا يضيع الاسلام من بلاد الشام ، وحتى يعمل على اعلاء كلمة الله (٢٥) . وكذلك عندما فتح عماد الدين زنكى امارة الرها سنة ٥٢٩ هـ كان المسلمون يسرون من خلفه ، وعمت الفرحة بذلك النصر المبين حيث كان نصرا حاسما للاسلام ضد الغزاة الصليبيين (٢٦) .

على أن التصدى للغزاة الصليبيين كان يتطلب حشد الرجال بالاضافة الى وجود موارد للانفاق والاهم من ذلك وجود الحافز المادى بجانب الدفاع عن المقدسات والجهاد فى سبيل الله ضد عدو غاشم جاء من الغرب ليحتل ويستغل تحت عدة ذرائع لتغطية الهدف الحقيقى الرامى الى قهر المسلمين فى عقرب دارهم .

وعلى ذلك اتبع عماد الدين زنكى النظام الاقطاعى الذى كان سائدا قبل توليه الحكم فى الموصل ذلك النظام الذى سبغته على تكوين جبهة اسلامية قوية يمكن من خلالها صد الخطر الصليبي فى عصره بل وتقليم اظافره الى حد كبير . وتلخص النظام الاقطاعى على عهد السلاجقة فى أن تكون الموجب اقطاعية لأحد الامراء على أن يكون خاضعا لهم على الدوام ، وهى حالة ثبوت محاولة الاستقلال كانوا يعزلونه على الفور وتسلم الموصل الى حاكم آخر .

ومن أمثلة التوزيع الاقطاعى الحربى فى عصر السلاجقة الاقطاع الذى تسلمه محمد بن مسلم بن قريش العقيلي ، من السلطان ملكشاه عام ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م ، وكان هذا الاقطاع يشمل الموصل وحران والرحبية وسروج والرقه والخابور ، بالاضافة الى هذا الاقطاع الكبير زوجة السلطان ملكشاه من اخته خاتون زليخة ، فتسلم ابن قريش جميع هذه الأعمال ما عدا حران التى امتنع مقطعها محمد بن الشاطر عن تسليمها الا بناء على امر السلطان (٢٧) .

(٢٥) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٢٩ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٧ - ٦٨ .

(٢٦) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٧٩ .

(٢٧) ابن خلدون ، العبر وديوان البيهقى والخبر ، ج ٤ ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

ومن أصحاب الاقطاعات أقي سنقر الملقب بقسسم الدرلة وهر والد عماد الدين زنكى ، وكان من أصحاب السلطان ركن الدين ملكشاه وتربى معه فجعله من الأمراء المقربين اليه واقطعه السلطان ملكشاه قلعة حلب وأعمالها وحماه ومنبج واللاذقية وما معها . وظلت هذه الاقطاعات بيده ، واحترمه ملوك السلاجقة لاختصاصه ومشاركته لهم فى الكفاح (٢٨) حتى مقتله سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م (٢٩) .

وفى أوائل القرن السادس الهجرى أرسل السلطان محمد السلجوقى الأمير مودود بن التوتكين الى الموصل واقطعه اياها . وعند مقتل مودود سنة ٥٠٧ هـ اقطع السلطان محمد السلجوقى الموصل (٣٠) وأعمالها الى الأمير جيوش بك وأمر السلطان بن يكون ولده الملك مسعود ملازما للامير جيوش بك . وظل جيوش بك على عرش امارة الموصل وأعمالها حتى سنة ٥١٤ هـ حيث عزله السلطان محمد بعد قيام جيوش بك بثورة ضد السلطان وتسلم أقي سنقر البرسقى اقطاع الموصل وأعمالها وكل ما كان تحت يد جيوش بك من اقطاعات سنة ٥١٥ هـ (٣١) . وعند مقتل أقي سنقر البرسقى سنة ٥٢٠ هـ تولى امارة الموصل بعده ابنه عز الدين مسعود ووافق السلطان محمد السلجوقى على ولاية عز الدين مسعود للموصل وأعمالها وكل الأعمال التى كانت لابيه (٣٢) . غير أن عز الدين مسعود توفى سنة ٥٢١ هـ ثم ولى بعده اخوه الأصغر وقام جاولى وهو أحد الامراء بالموصل بتدبير امور امارة الموصل ، وأرسل الى السلطان طلبا للموافقة عليهما بعد أن بذل الكثير من الأموال (٣٣) .

وحتى سنة ٥٢١ هـ كان عماد الدين زنكى يشغل منصب شحنة العراق

(٢٨) ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٩ ، ١٤١ .

(٢٩) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٣٠) ابن الاثير ، الباهر ، ص ١٧ .

(٣١) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٣٢) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٣٢ .

(٣٣) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٧٥ .

بالإضافة الى ما بيده من الاقطاع (٢٤) . وفى ذلك العام نجح عماد الدين زنكى فى الاتفاق مع الوفد الموجود فى بغداد لمطالبة السلطان بالموافقة على ابن البرسقى بالموصل ، حيث وافق ذلك الوفد على مطالبة السلطان بتولية عماد الدين زنكى على امارة الموصل بدلا من ابن البرسقى ووافق السلطان على ذلك المطلب بعد ان دفع عماد الدين زنكى مبلغا من المال للسلطان (٢٥) . ثم وافق الخليفة على قرار السلطان (٢٦) . ولا ريب ان السلطان السلجوقى فرض على عماد الدين زنكى الدفاع عن بلاد المسلمين ضد العدو الصليبي ، وسلمه ولديه ليكون اتابكا لهما يحكم باسمهما . وان كانت المصادر التاريخية قد ذكرت الالتزامات المالية ، فعلى سبيل المثال دفع عماد الدين زنكى للسلطان محمود مائة الف دينار بالإضافة الى هدايا ضخمة لكى يبقيه فى منصبه عام ٥٢٢هـ ووافق السلطان على ذلك المطلب (٢٧) . ومرة ثانية عرض عماد الدين زنكى مائة الف دينار على السلطان مسعود عام ٥٢٨ هـ ، عندما حاول ذلك السلطان غزو الموصل ، فوافق السلطان على انتهاء الغزو ، وتسلم السلطان ما قيمته عشرين الف دينار مواد عينية ثم تنازل السلطان عن باقى المبلغ كوسيلة لاستمالة عماد الدين زنكى ضد امراء الاطراف الذين خرجوا عليه (٢٨) .

والجدير بالذكر ان عماد الدين زنكى اعتمد على نفسه فى اعداد قواته للتصدى للعدو الصليبي دون ان يتلقى اى مساعدة من السلطان ، فى حين ان السلطان اعتاد على تقديم الاموال والعساكر الى ولاته بالموصل للتصدى للغزو الصليبي قبل اعتلاء عماد الدين زنكى عرش امارة الموصل (٢٩) .

وعلى اية حال ادرك عماد الدين زنكى ضرورة توزيع الاقطاعات عنى

(٢٤) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٢١ .

(٢٥) أبو شامة ، الروضتين ، ١ ، ص ٧٦ .

(٢٦) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٧٩ .

(٢٧) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٤٤ .

(٢٨) أبو شامة الروضتين ، ج ١ ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢٩) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٦٥ : أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٩٣ .

- ٢٧ -

امرائه ومن يعمل معه ، لأن الظروف الحربية والسياسية تحتم عليه ذلك ، حيث كانت هناك الامارات الصليبية ، بالاضافة الى الامارات المذاقمة . وكان الموقف يفرض عليه تكوين جيش قوى منظم ومخلص ولن يتحقق له ذلك دون اتباع النظام الاقطاعى الذى كان سائدا فى العصور الوسطى .

والواقع أن المناطق التى كان يسكنها الأكراد والتابعة لامارة الموصل وأعمالها والمحيطة بها شمالا وفى الشمال الشرقى كانت مصدر خطر واضطرابات للامارة ، وعدم استقرار ، فضلا عن انها كانت تمثل قوة من الناحية الاقتصادية والبشرية ، وهو فى اشد الحاجة لمصادر القوة للانفاق والتصدى للاعداء ، وعلى ذلك نجح الى حد كبير فى ضم الأكراد اليه بعد استخدام سلاحى الاغراء قارة والارهاب قارة اخرى ، واحيانا الضرب بشدة اذا ما تطلب الامر الى ان دان له الأكراد بالطاعة .

عماد الدين زنكى والاكراذ

ادرك عماد الدين زنكى ضرورة السيطرة الكاملة على كل المناطق الجبلية التى تحيط بامارة الموصل من الجهة الشمالية ، والشمالية الشرقية ، ذلك لأن تلك السيطرة تحقق للامارة الأمن والامان فضلا عن تحقيق زيادة فى الموارد الاقتصادية . هذا ولا سيما ان تلك المناطق كانت حكرا على القبائل الكردية التى كانت لها الكلمة العليا منذ عدة قرون سبقت عهد عماد الدين زنكى ، ودابت تلك القبائل الكردية على تحقيق حالات من السيطرة المصحوبة بالسطو والسلب والنهب فى المناطق الزراعية التابعة لامارة الموصل والمتاخمة لها . وكان من الضروري أن يلجأ عماد الدين زنكى لأسلوب القوة لكسر شوكة تلك القبائل والسيطرة عليها ، وهذا ما تحقق له بالفعل بعد جهود مضنية .

وإذا كانت القبائل الكردية فى عهده قد تعددت فانه لم يعمل على إخضاعها جميعا إذ كان ذلك أمرا صعب التحقيق ، ان لم يكن من المستحيل ولذلك اكتفى بمهاجمة القبائل الكردية المجاورة لامارته فحسب . وعلى ذلك عمل على السيطرة على الاكراذ الحميدية بمنطقة عقرة ، والاكراذ الهكارية بمنطقة العمادية والخابور ، والاكراذ المهانية والبشـنوية بمنطقة جزيرة ابن عمر .

السيطرة على الاكراذ الحميدية :

حرص عماد الدين زنكى على مهاجمة الاكراذ الحميدية نظرا لأن حصونها كانت على مقربة من الموصل ، وكانت العقير مركز هذه الطائفة ، وهى قلعة بوية ومحصنة تحصينا جيدا ، وتقع فى جبال الموصل الشرقية ونسبت الى قبائل الاكراذ التى تسكنها ولذلك اطلق عليها (عقير الحميدية) (١) . وفى ذلك

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٦٦٦ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ،

ج ١ ، ص ٥٥ ، الحاشية رقم (٢) .

الحين كان حصن (الشوش) يتبع عقر الحميدية ، وهو قلعة عظيمة شديدة الارتفاع وموقعها بالقرب من المركز السابق (٢) .

والواقع أن لهذين الحصنين السابقين أهمية بالغة من الناحية الاقتصادية ذلك لأنهما يعملان على حماية مجموعة من القرى والضياع المحيطة بها والتي حظيت بشهرة كبيرة في المجال الزراعي كالغيطه القريبة من العقرة ، وجوجر التي ينسب اليها الارز الجيد ، وخليطنا القريبة من الشوش . والمعروفة باعتدال مناخها ، وخصوصية تربتها وكثرة البساتين بها ، ومن أهم المحاصيل الزراعية لتلك المناطق الارز والقصب والأخشاب (٣) .

وفي عهد عماد الدين زنكى كانت طائفة الحميدية تلك التي يحكمها الأمير عيسى الحميدى ، في الوقت الذي كانت فيه تلك الامارة تنعم بشيء من الاستقلال المحلي . والجدير بالملاحظة ان تلك الطائفة الكردية تقم في بعض الأحيان بمهاجمة المزارع القريبة من الموصل ونهب الفلاحين (٤) .

على ان مهاجمة عماد الدين زنكى للاكراد الحميدية لم تبدأ الا عام ٥٢٧ هـ . وكانت العلاقات منذ اعتلاء عماد الدين زنكى للسلطة في الموصل وحتى ذلك التاريخ طيبة ، بعد ان أقر الأمير عيسى الحميدى على ولايته هناك ولم يعترض بشيء على ما تحت يدي الأمير عيسى الحميدى (٥) . على ان الأمير عيسى الحميدى ، ومن خلفه الاكراد من بنى قومه انضموا للخليفة المسترشد الذي حاصر الموصل عام ٥٢٧ هـ . وانضم اليه بجيوشه وأمدده بكل ما يلزمه من مواد غذائية ، ووضع تحت تصرف الخليفة المسترشد أعدادا وافرة من الاكراد . غير أن هذا الحصار لم يحقق الهدف ، وأخيرا عاد الخليفة الى بغداد . ومن الطبيعي ان تسوء العلاقات بين عماد الدين زنكى والاكراد

- (٢) أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٢٧٤ : ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٥٥ الحاشية رقم (٢) .
- (٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ ، ٤٥٩ ، ج ٣ ، ٨٢٨ .
- (٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٤٣ : الباهر ، ص ٤٨ .
- (٥) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٨٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٥٥ .

الحميدية • لذلك يادر في العام نفسه بمهاجمة الاكراد الحميدية في عقر دارهم ، وحاصر قلاعهم ، ومركز رياستهم في العقر (٦) • ودخل معهم في معارك شرسة انتهت بانتصار عماد الدين زنكى على الاكراد الحميدية بعد: ن: قاد المعارك بنفسه ودخل قلاعهم (٧) •

وهكذا نجح عماد الدين زنكى في اعادة الأمن الى فصابه واصبح كل السكان بالموصل والمناطق المحيطة بها ولا سيما من يعملون في الزراعة في مأمن من هجمات الاكراد الحميدية (٨) • ولا ريب ان هذا الوضع الجديد الذي انتهجه عماد الدين زنكى حقق الأمن ، وساعد على زيادة الانتاج الزراعى ، والنشاط التجارى في تلك المناطق •

وكان لنجاح عماد الدين زنكى في اخضاع اكراد الحميدية ان حاول صاحب قلعة اشب ، وهو الأمير ابو الهيجاء الهكارى ، التودد لعماد الدين زنكى ، وذلك عن طريق ارسال مبلغ من المال اليه ، وطلب منه عدم الذهاب بنفسه الى الموصل لاعلان قروض الولاء والطاعة (٩) •

على ان الدافع الاساسى الذى جعل الأمير ابا الهيجاء الهكارى يتودد لعماد الدين زنكى ، هو الاسلوب الوحشى الذى اتبعه عماد الدين زنكى بغية السيطرة على الاكراد الحميدية ، اذ لجأ الى تقسيم القلاع من الاكراد ، واجبارهم على ترك ديارهم ، • ولما ملك قلاع الحميدية اجلاهم ، على حد قول ابن الاثير (١٠) •

-
- (٦) مازالت عقرة موجودة حتى اليوم وهى مركز قضاء عقرة فى محافظة نينوى بالعراق وهى تقع شرق الموصل ، وتبعد عن الموصل ٩٢ كم ، وهى فى منطقة جميلة والبلدة كائنة فى سفح جبل تتدرج دورها من الاسفل الى الاعلى كما فى بقية المدن والقرى الجبلية الكردية وتتبعها : قابكى ، وجوسته ، وكواراوه ، ومحلة النصارى •
 انظر : جمال بايان ، اصول اسماء المدن والمواقع العراقية ، ج ١ ، ص ٢٠٨ •
 (٧) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٤٨ : ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٥٥ •
 (٨) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٤٨ •
 (٩) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٥٥ - ٥٦ •
 (١٠) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٤٣ •

السيطرة على الأكراد الهكارية :

عاش الأكراد الهكارية في منطقة هكاريا الواقعة الى الشمال من نهر الخابور الذي يصب في دجلة . وظلت قلعة أشب أهم مراكزهم الأساسية وأقوى حصونهم جميعا ، وبها أموالهم وأسرهم (١١) . وتنتشر كثير من القرى والأراضي الزراعية التابعة كلها لقلعة أشب ، وأشهرها (هرر) التي اشتهرت بوفرة انتاجها الزراعي بالإضافة الى وجود معدن الحديد عند أطرافها (١٢) . وكذلك بلدة (كوم) ، وهي مشابهة لبلدة (هرور) في الانتاج (١٣) .

ويضاف الى أراضي الهكارية (جبل لهيجة) و (جبل صور) الذي يقع في الجنوب الشرقي من هرر ، وهناك مواقع لها أهمية أقل من المواقع المذكورة سابقا ، وهي المأسى ، ومابرما ، وبابوجا ، وبأكزاد ، وسبأى (١٤) .

بدأ تعامل عماد الدين زنكي مع الهكارية لأول مرة عندما طلب أبو الهيجاء عبد الله بن مرزيان الهكاري من الأول أن يعيش في سلام معه ، وبعد ن قدّم إليه فروض الولاء والطاعة (١٥) .

ولما مات أبو الهيجاء (١٦) سنة ٥٢٧ هـ ، أسرع عماد الدين زنكي

-
- (١١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٥٥ ، الحاشية رقم ٥ .
 - (١٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٩٧ .
 - (١٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٦٩ .
 - (١٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٤٢ .
 - (١٥) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ١٦٢ .
 - (١٦) أقام أبو الهيجاء في الموصل ، ودفن بتل التوبة ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٤٢ : ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٥٦ . وتل التوبة هو المعروف حاليا باسم النبي يونس ، حيث يوجد مشهد ومسجد باسم النبي يونس ، عليه السلام ، في ذلك التل حتى يومنا هذا ، ويجوار المشهد مقبرة قديمة غير مستعملة في الوقت الحاضر . وهذا التل يقع شرقي الموصل ، وتقام عليه قرية النبي يونس مسكونة حاليا بجوار المقابر المهجورة على ذلك التل وورد ذكره عند ياقوت الحموي ، والتل متصل بمدينة نينوى المنخرسية ، انظر ، جمال بابان ، أصول أسماء المدن والمواقع العراقية ، ج ١ ، ص ٨٤ - ٨٥ ، سعيد الديوهجي ، تاريخ الموصل ، ج ١ ، ص ٢٥٩ - ٢٦٦ : سعيد الديوهجي ، الموصل في العهد الاتاكي ، ص ١٦٤ .

بمهاجمة قلعة أشب ، وقضى على جند ذلك الحصن المنيع ، واستولى على القلعة ، وعاد الى الموصل على الفور ، وأرسل نائبه نصر الدين جقر لاتمام السيطرة التامة على كل اراضى الاكراد البهكارية . فقام جقر بتخريب قلعة أشب تنفيذا لأوامر عماد الدين زنكى وحتى لا تكون مركزا دفاعيا ، يستغل الاكراد فى يوم ما ضد مصالح عماد الدين زنكى . ونجح جقر فى وضع يديه على ما تبقى من مواقع وحصون للاكراد البهكارية ، ونجح فى اجتياح جبل لهيجة ونوش (١٧) ، ثم نجح فى الاستيلاء على (جيسل جور) و (هرر) (١٨) .

والواقع ان عماد الدين زنكى نجح فى تحقيق الأمن والأمان لسكان تلك المنطقة ، الذين انصرفوا الى زيادة الانتاج الزراعى بعد ان تعددت بهنا الاضطرابات وأعمال العنف فى مناطق الاكراد . ولا ريب أن الاكراد انفسهم استفادوا كثيرا من حالة الاستقرار التى اعقبت سيطرة عماد الدين زنكى على تلك المناطق ولا سيما انه اقام قلعة جديدة حملت اسمه ، وهى قلعة العمادية - فوق اطلال حصن قديم كان الاكراد قد خربوه لمجزئهم عن الدفاع عنه (١٩) .

السيطرة على الاكراد المهرانية :

نجح عماد الدين زنكى فى السيطرة على الاكراد المهرانية سنة ٥٢٧ هـ ، وكانت تلك القبائل تعيش فى عدد من القلاع المقامة فى النواحي التى تحميها الجبال القريبة من مدينة جزيرة ابن عمر ، ومن أهم تلك القلاع قلعة كواشى الواقعة على جبال الجودى شرقى نهر دجلة ، ثم قلاع الزعفرانى ، والشعبانى ،

-
- (١٧) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٦٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٥٥ ، محمد امين زكى ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، ص ١٥٤ .
- (١٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ٢٤٤ .
- (١٩) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٦٤ : سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٩٠ ، أير شاسة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٩١ - ٩٢ ، ابن واصل . مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٥٧ .

والرايية ، وفرج ، وسروة (٢٠) .

ويبدو أنه لم تكن هناك امارة تضم تلك الحصون والقلاع ، حيث وردت في المصادر التاريخية بعض المعلومات عن الفترة التاريخية المعاصرة لعهد عماد الدين زنكى والتي يستدل منها على ان الاكراد المهرانية كانوا يتمتعون بالاستقلال عن بعضهم البعض ، وكل أمير منهم يحكم حصنه . فالربيية وفرج وغيرهما كانت تحت سيطرة الأمير عبد الله بن عيسى بن ابراهيم المهراني ، ثم ولده على من بعد وفاته (٢١) . وكان حصن الشعباني تحت سيطرة الأمير الحسن بن عمر . اما حصن كواشي فقد كان تحت حكم الأمير خول والامير هرون (٢٢) .

والجدير بالذكر أن استيلاء عماد الدين زنكى على قلاع الاكراد المهرانية تم على وجه السرعة ، وربما كان ذلك لحالة الذعر العام التي اجتاحت تلك القبائل بعد أن علموا بانتصارات عماد الدين زنكى على قبائل الاكراد الهكارية لذا تمكن نصر الدين جقر نائب عماد الدين زنكى من السيطرة على قلاع الشعباني وفرج وكواشي وسروة والزعفراني (٢٣) .

وهناك ثمة دليل على حالة الاستسلام التي سيطرت على الاكراد المهرانية للأسباب التي أوردناها ، وهو قيام الأمير على بن الأمير عبد الله بن عيسى بن ابراهيم المهراني ، والذي تولى حكم قلعة الربيية ، والمواقع المحيطة بها بعد وفاة ولده ، بإرسال والدته خديجة بنت الحسن الى الموصل لطلب الأمان من زنكى ، حيث أجابها عماد الدين زنكى الى طلبها ، ثم ذهب على المذكور بنفسه الى الموصل لإعلان الطاعة لعماد الدين زنكى ، حيث أقره عماد الدين على حكم قلاعه (٢٤) .

(٢٠) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٤٤ : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .

(٢١) محمد أمين زكى . تاريخ الكرد وكردستان ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٢٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٤٤ .

(٢٣) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٦٤ : ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٥٦ .

(٢٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٤٤ .

على أن مصالح عماد الدين زنكى اقتضت الاستيلاء بالقوة على املاك وقلع الأمير على بن عبد الله بن عيسى بن ابراهيم المهرانى ، والقاء القبض عليه ، وذلك بناء على اقتراح قائد جفر ، وبعد نجاح جفر فى الاستيلاء على حصن الشعبانى الذى يحكمه الأمير الحسن بن عمر (٢٥) .

على أن عمليات السيطرة على قلاع الأكراد المهرانية صاحبها مقاومة من الأكراد الذين استسلموا بعد مفاوضات طويلة بين الطرفين انتهت بتسليم عماد الدين زنكى لكل القلاع المهرانية ، واطلاق سراح الاسرى الذين كانوا فى سجونهم من امراء وقادة وغيرهم . وبذلك هدأت الأحوال فى تلك المنطقة، وظلت تحت سيطرة عماد الدين زنكى بعد أن انتشرت فيها القوضى زمنًا طويلا (٢٦) .

والجدير بالذكر أن عماد الدين زنكى بنى قلعة كبرى فى بلاد الهكارية حملت اسمه على انقاض قلعة قام الأكراد باخرابها لعجزهم عن حفظها بعد أن كانت تمثل حصنا كبيرا لا مثيل له فى حصون الجبال (٢٧) . وقدم المؤرخ البديلى وصفا دقيقا للقلعة التى بناها عماد الدين زنكى فقال : « قلعة العمادية الحالية من الأبنية الجديدة التى بناها فى عهد السلاجقة ، عماد الدين زنكى بن أقسنقر والى الموصل وسنجار ، وتقع المدينة وقلعتها على صخرة عظيمة مستديرة ، وترتفع بعض الأمكنة منها عن الأرض مائة ذراع ، وبعضها حوالى الخمسين أو الستين والبعض الآخر عشرين ذراعا . وفى القلعة جبان عميقان يمدانها بالماء ، ومنهما تأخذ الحمام والمدرسة ، وسائر العمارات، ولكن الناس يجلبون مياه الشرب من خارج البلد على ظهور الدواب ، وتختلط

(٢٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٤٤ .

(٢٦) سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٩٠ .

(٢٧) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٦٤ . والعمادية عمرها عماد الدين زنكى سنة

٥٣٧ هـ (١١٤٢ م) . وهى مركز قضاء عمادته فى محافظة دهوك بالعراق وتقع على بعد ١٦٢ كم شمال الموصل . انظر جمال بايان ، أصول أسماء المدن والمواقع العراقية، ج ١ ، ص ٢١١ - ٢١٢ .

أزياء ولمهجات قوام هذه الديار الكردية بشيء من العربية حيث تسود الثقافة المدنية والعلمية العربية ، مما جعل الكثيرين منهم صلحاء متديتئين ، (٢٨) .

السيطرة على الأكراد البشنوية :

وبعد النجاح الذي أحرزه عماد الدين زنكي على جماعات الأكراد السابقة اتجه الى جماعة الأكراد البشنوية المنتشرة في بلاد الزوزان (٢٩) . وكانت بلاد الزوزان تشمل المناطق التي تحدها شمالا جبال ارمينية وتمتد حتى الموصل جنوبا ، وتمتد من اذربيجان شرقا حتى اقليم ديار بكر غربا . والواقع ان تلك المناطق لم تكن قاصرة على الأكراد البشنوية فحسب ، وإنما عاش الى جوارهم فيها عدد كبير من الأرمن ، وطائفة اخرى من الأكراد تدعى البيختية . وعاشت القبائل الكردية هناك في القلاع الحصينة ، وأشهرها برقة ، وبشير ، وجردقيل ، وآتيل ، وعلوس (٣٠) . وباز الحمراء (٣١) وباخوخا ، وبرخو وكنكور (٣٢) . وخوشب (٣٣) ، والهيثم وشارو (٣٤) .

على ان اهم قلاع وحصون الأكراد البشنوية كان حصن فنك الذي كان المركز الرئيسي للأكراد البشنوية . حتى انه ظل يتمتع بالاستقلال عن التبعية لأمراء اقليم جزيرة ابن عمر بالرغم من قرب المسافة بينهما . وكان الحصن مطلا على نهر دجلة ، وامتاز سكان ذلك الحين بالبروءة ، وتقديم كل العون لكل من يلجأ اليها (٣٥) .

والواقع ان عماد الدين زنكي ترك حصن فنك ليكون آخر الحصون التي

-
- (٢٨) البديسي ، شرفنامه ، ج ١ ، ص ١٠٢ .
 - (٢٩) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٣٥ .
 - (٣٠) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٧٣ .
 - (٣١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٦٦ .
 - (٣٢) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٧٣ .
 - (٣٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣١٢ .
 - (٣٤) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٧٣ .
 - (٣٥) أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

استولى عليها لعلمه علم اليقين بما تمتع به ذلك الحصن من قوة ومناعة ، وهو حصن ظل تحت ايدى الاكراد منذ قرابة اكثر من ثلاثة قرون ، ومن يتبعه من المناطق المجاورة له . وكان امير تلك الطائفة فى عهد عماد الدين زنكى هو الامير حسام الدين البشنوى (٢٦) ، ويمكن عماد الدين زنكى من مهاجمة الحصون المجاورة لحصن فنك والسيطرة عليها مثل قلعة الهيثم وشاروا وغيرهما . وبذلك صارت معظم الحصون الكردية فى المنطقة تابعة له (٢٧) . وهكذا يمكن القول ان المبادئ الاساسية والاهداف الاستراتيجية لسياسة عماد الدين زنكى قد تحققت ، وهذه الاستراتيجية استهدفت فى المقام الاول : « ان لا يكون وسط بلاده ما هو ملك لغيره جزما واحتياطا » . على حد قول ابن الاثير (٢٨) .

وفى سنة ٥٤١ هـ اصدر عماد الدين زنكى اوامره الى قائده زين الدين على كوجك بضرورة الاستيلاء على حصن فنك . هاعد ذلك القائد جيشا كبيرا من الفرسان والرجال ، واتجه صوب حصن فنك وضرب حصارا حوله ، غير ان ما به من الاكراد صدوا امام الحصار اعتمادا على حصانه مرقعهم وتمكنهم من الحصول على الامدادات بالطرق السرية . غير ان مدة الحصار لم تدم نظرا لمقتل عماد الدين زنكى خلال حصاره قلعة جعبر فى العام نفسه . فاضطر زين الدين على كوجك الى فك الحصار والانسحاب الى الموصل (٢٩) .

وهكذا ظل عماد الدين زنكى يعمل جاهدا طوال حياته على تقوية امارته وتأمين حدودها ويمكن القول انه نجح الى حد كبير فى كسر شوكة الاكراد المحيطين به من الشمال والشرق بالنسبة لامارته . ولا ريب ان هذا يعطى انطباعا على قوة شخصيته ومثابرتة واصرارته على النجاح بفضل ما تمتع به من مقدرة عسكرية وبراعة فنية .

ولا يخفى على اى باحث فى التاريخ ان عماد الدين زنكى كان يعمل

(٢٦) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٧٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٩٨ .

(٢٧) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٧٢ .

(٢٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ - ١٢ .

(٢٩) ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

وهو خطة سيطرت على فكره ، وليس من المعقول انه كان يعمل بطريقة عشوائية . بل انه عقد العزم على تأمين حدود بلاده ونجح الى حد كبير في ذلك حيث بنى سياجا قويا حول امارته وفقا لخطته التي افصح عنها علنا في يوم ما حينما قال : « ان البلاد كالبلستان عليه سياج فمن هر خارج السياج يهاب الدخول » (٤٠) .

(٤٠) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٧٩ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ١١١ ؛
ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٠٢ .



موطن الاكراد كما يتصورونه،

★نقلا عن امين سامي الفمراوى ، قصة الاكراد فى شمال العراق ،
(القاهرة ١٩٦٧ م)



منطقة الاكراد في كل من العراق وايران

★ نقلا عن أمين سامي الفراوى ، قصة الاكراد في شمال العراق ،
 (القاهرة ١٩٦٧ م)



رجل كردى بملابسه القومية
★ نقلا عن امير سامى العمراوى . قصة الاكراد فى شمال العراق .
(القاهرة ١٩٦٧ م)



فتاة بالزي الكردي

في . لا عن . سامر الحراوي . قصة الاكراد في شمال العراق .
(القاهرة : ١٩٦٧ م)

المصادر

-- ابن الأثير (أبو الحسن عز الدين على بن محمد بن عبد الكريم الجزرى
ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) .

الكامل فى التاريخ
(القاهرة ١٢٩٠ هـ)

-- ابن الأثير (أبو الحسن عز الدين على بن محمد بن عبد الكريم الجزرى
ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)

التاريخ الباهر فى الدولة الاتاكية
تحقيق عبد القادر احمد طليمات
(القاهرة ١٩٦٢ م)

-- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن بن تغرى برى الاتاكي
ت ٨٧٤ م)

النجوم الزاهرة فى اخبار مصر والقاهرة
(القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٥٦ م)

-- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)

العبر وديوان المتسدا والخبر
(القاهرة ١٢٨٤ هـ)

-- ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١ هـ /
١٢٨٢ م)

وقيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان
(القاهرة ١٣٦٧ هـ)

- ابن العديم (كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله) ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م
زبدة الحلب فى تاريخ حلب
تحقيق سامى الدهان
(دمشق ١٩٥٤ م)
- ابن العماد الحنبلى (ابو الفلاح عبيد الحى بن العماد الحنبلى ت
١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م)
شذرات الذهب فى اخبار من ذهب
٨ اجزاء ، مكتبة القدس
(القاهرة ١٢٥٠ هـ)
- ابن القلانسى (ابو يعلى حمزه ت ٥٥٥ هـ)
ذيل تاريخ دمشق
تحقيق آمدروز
(بيروت ١٩٠٨ م)
- ابن كثير (اسماعيل بن عمر الدمشقى ت ٧٧٤ هـ / ١٢٧٢ م)
البداية والنهاية فى التاريخ
(القاهرة ١٩٢٢ م)
- ابن واصل (جمال الدين محمد سالم بن سالم ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م)
مفرج الكروب فى اخبار بنى ليوب
تحقيق دكتور جمال الدين الشيبان
(القاهرة ١٩٥٢ م)
- ابو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى ت ٦٦٥ هـ /
١٢٦٦ م)
كتاب الروضتين فى اخبار الدولتين النورية والصلاحية
جزءان تحقيق محمد حلمى محمد احمد
(القاهرة ١٩٥٦ م)

- ٥٥ -

- البديوى (شرف خان ت ١٠٠٥ هـ)
شرفنامه
جزءان ترجمة محمد على عوى
(القاهرة ١٩٥٨ م)
- البندارى (الفتح بن على بن محمد الاصفهانى ت ٦٤٢ هـ / ١٢٤٥ م)
تاريخ دولة ال سلجوق
(مصر ١٩٠٠ م)
- سبط بن الجوزى (ابو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلى التركى
الشهير بسبط بن الجوزى ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م)
مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان
القسم الأول من الجزء الثامن
(حيدر آباد الهند ١٢٧٠ هـ / ١٩٥١ م)
- القلقشندى (احمد بن أبى اليمن القاهرى الشافعى ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)
صبح الأعشى فى صناعة الانشا
(القاهرة ١٩١٢ - ١٩٢٢ م)
- المسعودى (ابو الحسن على بن الحسين بن المسعودى ت ٣٤٦ هـ)
مروج الذهب ومعادن الجوهر
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد
(بيروت ، ١٩٧٢ م)
- المقرئى (تقى الدين احمد بن على ، ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)
السلوك لمعرفة دول الملوك
الجزء الأول تحقيق دكتور محمد مصطفى زيادة
(القاهرة ١٩٣٩ م)

- ٥٦ -

— ياقرت الحموى (شهاب الدين ياقرت بن عبد الله الحموى الرومى
البغدادى ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)

معجم البلدان

٦ اجزاء تحقيق فستنفلد

(ليبيك ١٨٦٦ م)

- ٥٧ -

المراجع

- باسيل نيكتين
الأكراد
أصلهم وتاريخهم
ترجمة دار الوقائع
(بيروت ، ١٩٦٧ م)
- توما بوا
لمحة عن الأكراد
ترجمة محمد شريف عثمان
(النجف ، العراق ، ١٩٦٩ م)
- توما بوا
مع الأكراد
ترجمة أواز زنكنه
(بغداد ، ١٩٧٥ م)
- جاسم محمد الخلف (دكتور)
جغرافية العراق
(القاهرة ، ١٩٦٧ م)
- جمال بابان
أصول أسماء المدن والمواقع العراقية
الجزء الأول
(بغداد ، ١٩٨٩ م)

— سعيد الديوه جي
تاريخ الموصل
الجزء الأول
(الموصل ، ١٩٨٢ م)

— سعيد الديوه جي
اليزيدية
(بغداد ، ١٩٧٢ م)

— سعيد الديوه جي
الموصل في العهد الاتابكي
(الموصل ، ١٩٥٨ م)

— السيد عبد الرزاق الحسني
اليزيديون
(بغداد ، ١٩٨٧ م)

— شاكِر خصيباك (دكتور)
الاکراد
(بغداد ، ١٩٧٢ م)

— شباميلوف
حول مسألة الاقطاع بين الكرد
ترجمة لكتور كمال مظهر احمد
(بغداد ، ١٩٨٤ م)

— عبد الستار ظاهر شريف
المجتمع الكردي
(بغداد ، ١٩٨١ م)

- ٥٩ -

— عزيز الحجاج (دكتور)

القضية الكردية

(بيروت ١٩٨٥ م)

— محمد أمين زكي

تاريخ الدول والامارات الكردية

في العهد الاسلامي

ترجمه عن الكردية محمد على عوني

(القاهرة ، ١٩٤٧ م)

— محمد أمين زكي

خلاصة تاريخ الكرد وكردستان

ترجمه من الكردية محمد على عوني (القاهرة ، ١٩٢٦ م)

-- محمد رشيد الفيل (دكتور)

الاكراد في نظر العلم

(بغداد ، ١٩٦٥ م)

— محمد السيد غلاب (دكتور)

تطور الجنس البشري

(الاسكندرية ، ١٩٥٨ م)

— منذر الموصلی

عرب واکراد

(بيروت غير معروفة سنة الطبع)

الفهرس

٤ - ٣	• • • • •	المقدمة
٢٨ - ٥	•	١ - لمحة موجزة عن الاكراد فى العصور الوسطى
٢٧ - ٢٩	• • • • •	٢ - من هو عماد الدين زنكى ؟
٤٨ - ٢٨	• • • • •	٣ - عماد الدين زنكى والاكراد
٥٢ - ٤٩	• • • • •	٤ - الخرائط والصور
٥٩ - ٥٢	• • • • •	٥ - المصادر والمراجع

